46 سلسلة الدروس الثقافيّة

باب الأولياء

مركز نون
للتأليف والترجمة

شبكة
المعارف
الإسلامية

باب الأولياء

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٥/٣٢٧ . ٢٤/٥٣

الكتاب: باب الأولياء

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى 2014 م - 1435 هـ

باب الأولياء

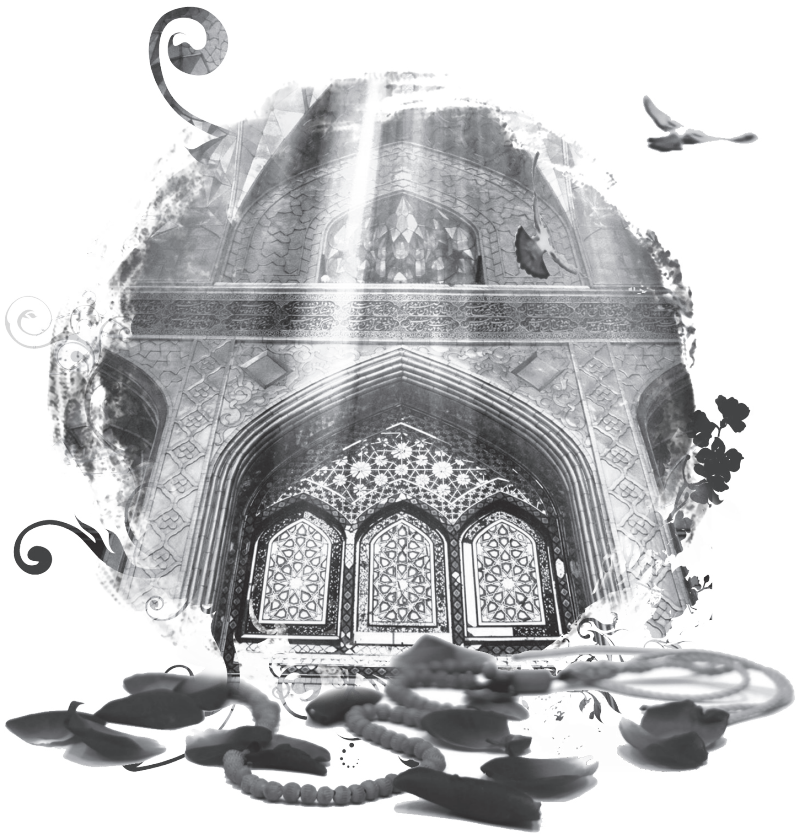

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدمة 11

1. الجهاد ومنزلته في الإسلام 13

الموعظة القرآنية 15

ما هو الجهاد؟ 15

الجهاد في الأديان السماوية 17

ما هي أهمّيّة الجهاد؟ 19

أفضل من الحج 19

الفوز العظيم 19

البشرى والرضوان 20

خير الأعمال 20

أفضل الأعمال 20

أحبّ الأعمال 21

درع اللّه 22

سنام الإسلام 22

2. تنوّع سوح الجهاد 25

الموعظة القرآنية 27

الجهاد هو المعيار 27

الجهاد الثقافي.....28
الجهاد السياسي والاقتصادي.....30
الجهاد المالي.....31
الجهاد بالمال في الروايات.....33
هدفنا من الجهاد المالي.....34

3. الآثار الدنيوية للجهاد.....37
الموعظة القرآنية.....39
تمهيد.....39
العزّة والرفعة.....39
الحياة والحركة.....41
الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس.....42
فصل الحقّ عن الباطل.....43
التوحّد في وجه الباطل.....43
معرفة الصديق من العدو.....44
الغلبة والنصر.....44

4. البركات المعنوية والأخروية للجهاد.....47
الموعظة القرآنية.....49
الحياة الحقيقية.....49
النجاة من العذاب.....51
غفران الذنوب.....51
عدم الافتتان في القبر.....52
الفوز بالجنّة.....52
مجاورة الربّ.....53

5. تبعاتُ ترك الجهاد.....57
الموعظة القرآنية.....59
تمهيد.....59

خراب دورُ عبادة الله 60
الذلّة والمهانة 60
ضعف الإيمان 62
الحرمان من التكامل المعنوي 63
الميل نحو الباطل 63
الحرمان من العدالة 63
عذاب الآخرة 64

6. مقام المجاهدين وأجرهم 67
الموعظة القرآنية 69
تمهيد 69
المكانة الرفيعة للمجاهدين 69
المؤمنون الحقيقيون 69
أفضلية المجاهدين على غيرهم 70
أحباب الله تعالى 70
دعاؤهم مستجاب 70
أهل الجنّة وقوّادها 71
حسناتهم لا تحصى 71
أهل العبادة المستمرة 71
أجر المجاهدين العظيم 72
الهداية الخاصة 72
غفران الذنوب 72
النعيم الخالد في الآخرة 72
الرحمة والرضوان الإلهيين 73
مقامُ الجرحى 73

7. الشهادة ومقام الشهداء 77
الموعظة القرآنية 79
طلّاب الشهادة 79
فضل الشهادة 80
أفضل البرّ 80
كفّارة الذنوب 81
أشرف الموت 81
أحب الأعمال إلى الله 82
حبّ الشهادة 82
بعض خصال الشّهيد 83
سبع خصال من الله 83
الشهداء أحياء 84
أهل البشرى والرزق الإلهي 84
الأمن من عذاب القبر 86
الشفاعة 86
مرافقة الأنبياء والصدّيقين والصالحين 86
ثلاث مواهب سنيّة 87

8. الشهادة عزُّ الدنيا والآخرة 91
الموعظة القرآنية 93
الشهادة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام 93
طريق الشهادة 95
تمنّي الموت في سبيل الله 95
عدم الانشغال بالدنيا 96
خلوص النيّة 98

تذكّر الشهداء وزيارتهم 99
التآسّي بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه 100

9. الجهوزية الدائمة في الحرب 107
الموعظة القرآنية 109
مقدّمة 109
وجوب إعداد عناصر القوّة 110
أهم عناصر القوة 110
تعلّم فنون القتال والسلاح 110
تنويع مصادر القوّة 111
تطوير الوسائل القتالية 112
هدفنا من الجهوزية القتالية 113

10. أهمية الحرب النفسية وضرورتها 117
الموعظة القرآنية 119
ما هي الحرب النفسية؟ 119
أهداف الحرب النفسية 119
كيف نواجه الحرب النفسية؟ 120
توحيد صفوف المجاهدين وإيجاد الاختلاف في صفوف العدو 121
الاستفادة من سلاح التبليغ والإعلام 124
إيجاد السكينة بين المجاهدين وإنزال الرعب في قلوب الأعداء 126
1. في معركة أحد 126
2. في فتح مكّة 127
3. في حرب صفين 127
4. في حرب الجمل 128

11. سنن النصر والهزيمة 131
الموعظة القرآنية 133

كيف ننتصر؟ 133
الإعداد العسكري الجيد 133
الإمدادات المعنوية والغيبية 134
إيجاد الخوف في قلوب العدو 135
نصرة الملائكة 136
إنزال السكينة على المؤمنين 137
كيف يمكن أن ننهزم؟ 138
فقدان البصيرة 138
التفرقة 139
العصيان 140
المفاسد الأخلاقية 141

12. أخلاقيات الحرب في الإسلام 145
الموعظة القرآنية 147
رعاية العهود العسكرية 147
رعاية الأحكام الإنسانية في الحرب 149
النهي عن قتل النساء والعجّز والأطفال 150
النهي عن إلقاء السمّ في الماء والغذا 150
عدم إتلاف الزرع 151
عدم التمثيل بجثث القتلى 152
المعاملة بالمثل 152
الصلح ووقف إطلاق النار 152
التعامل مع الأسرى 153
الإجارة واللجوء 155
لسماع كلام الله والاطلاع على معارف الإسلام 156
إجارة العدو تؤدّي إلى قوة جبهة المجاهدين 15

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين.

هو باب الأولياء الذي فتحه الله لمن اصطفاهم من خلقه: «**الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِه**»[1].

وأفضل من يتوسّل به المتوسّلون إلى ساحة لقائه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

والمدرسة التي فيها يتعلّم فنون الحبّ والعشق الإلهي والفناء في ذات الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[3].

هو الجهاد الذي فضّل الله المنخرطين في ميادينه المختلفة على القاعدين، واللاهثين وراء دنيا فانية، وأوهام بالية: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[4].

هو الجهاد الذي جعل رسول الله ﷺ الخير كلّ الخير محصوراً في ظلّه: «**الخير كله في السيف، وتحت ظلّ السيف**»[5].

---

(1) السيد الرضي، محمد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة، خطبة 25.

(2) سورة المائدة، الآية 35.

(3) سورة الصف، الآية 4.

(4) سورة النساء، الآية 95.

(5) العلامة المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان ، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط 2 (المصحّحة) ، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403هـ.ق/ 1983م، ج97، ص9.

هو سياحة أمّة رسول الله ﷺ ورهبانيّتها: «**سياحة أمّتي ورهبانيّتها الجهاد**»[1]، مـن هنا فإنّ الحديث عن الجهـاد هو اختصار لحقيقة الإسلام، وعرض لمنهجه في تربيـة الإنسان، وبناء المجتمع الفاضل، مجتمع العـدل والإنصاف، حيث لا ظلم ولا غصب ولا دماء، مجتمع يسوده الصفاء والتعاون والإخاء.

لـذا كان مـن الضروري فهم حقيقـة الجهاد وأبعـاده وأهدافه الأساس، وإعادة تشكيل تلك الصورة الحقيقية والواقعية لهذا التكليف الإلهي.

وهـذا الكتـاب (بـاب الأولياء) ربّمـا لا يمثّل كامل رؤيـة الإسـلام العميقة بشأن الجهـاد وموقعيّته، بل هـو أشبه بالمتن التدريسي الذي يُعـرّف الإنسان المسلم على الرؤية الأوّلية المطلوبة للنفوذ إلى أعماق حقيقة الجهاد في الإسلام، وتكوين تصوّر أوّلي حول الجهاد وأبعاده المختلفة، وأنواعه. على أمل أن تتسارع الأسئلة إلى أذهاننا لتشكّل لنا دافعاً نحو المعرفة الأشمل وركوب سفينة النجاة الوحيدة في زمن أضحى الظلم فيه سمة الحيـاة اليومية، وفي عالم يحكمه الطغاة والمستكبرون. وهو القائل في كتابه العزيـز: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، صدق الله العلي العظيم.

مركز نون للتأليف والترجمة

(1) النـوري، الشيخ حسين، مستدرك الوسائل،ج16، ص53، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1408 – 1988، بيروت، لبنان.

(2) سورة البقرة، الآية 193.

1

الجهاد ومنزلته في الإسلام

مفاهيم محورية:

- ما هو الجهاد؟
- الجهاد في الأديان السماوية.
- ما هي أهمية الجهاد؟

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ما هو الجهاد؟

تشتّق كلمة «**الجهاد**» من «**الجَهْد**» و«الجُهْد» بمعنى «**المشقّة والعناء**» وبمعنى «**الوسع والطاقة**»، وعليه، يكون معنى الجهاد: بذل الوسع والطاقة وتحمّل المصاعب في مواجهة العدو.

وقد استخدم القرآن المجيد في آياته ـ التي تحدّثت عن هذا الموضوع ـ مفردتين اثنتين هما: الجهاد والقتال.

وتطلق كلمة الجهاد غالباً على عملية صَدِّ العدوّ عن طريق الحرب، إلاّ أنّ معناها يتّسع ليشمل دفع كلّ ما يمكن أن يُصيب الإنسان بالضرر، كالمواجهة مع الشيطان الذي يُضلّ الإنسان، أو النفس الأمّارة التي تدعو إلى ارتكاب السيئات، حيث وصفت بعض الروايات مخالفة هوى النفس بالجهاد الأكبر، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر**»[2].

---

(1) سورة البقرة، الآية 216.

(2) بحار الأنوار، ج67، ص 65.

وقـد اعتبر بعض المفسِّرين أنّ آيات الجهاد الواردة في القرآن الكريم ناظرة في الواقع إلى هذين النوعين من الجهاد: جهاد النفس وجهاد العدو.

فعلـى سبيـل المثال، يـرى العلّامـة الطباطبائـي أنّ معنى الجهاد فـي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾[2]، أعمُّ من الجهاد الأصغر والأكبر، بدليل القرائن الموجودة في هذه الآيات نفسها.

وكذلك، فسّر العلّامـة الطبرسي معنى الجهاد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3] بجهـاد الكفّـار، وبمجاهـدة أهـواء النفس[4].

أمّـا كلمـة «**القتال**» فهي بمعنـى الحرب، ولـم تستعمل في القـرآن المجيد سوى للإشارة إلى الحرب مع العدو الظاهري والخارجي.

وأمّـا اصطلاحاً فقـد عرّف الفقهاء الجهاد بأنّه: «**بذل النفس وما يتوقّف عليه مـن المـال في محاربة المشركين أو الباغيـن على وجه مخصوص أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر الإيمان**»[5].

وحـدّد الإمام الخامنئي معنى الجهاد ومعياريّته، حيث قال: «الجهاد هو كلّ كفاح مـن أجـل تحقيق هدف سـامٍ مقدّس. والملاك فـي صدق الجهاد هـو أن تكون هذه الحركـة موجّهة، وتواجه عقبات تنصبّ الهمم على رفعها. فهذا هو الكفاح. والجهاد

(1) سورة المائدة، الآية 35.

(2) سورة الحج، الآية 78.

(3) سورة العنكبوت، الآية 69.

(4) يُراجـع، تفسيـر مجمع البيـان: الشيخ الطبرسـي، تحقيق وتعليق لجنة مـن العلماء والمحققيـن، ط1، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، 1415هـ.ق/ 1995م، ج8، ص41.

(5) الشيخ الجواهري، جواهر الكلام، تحقيق وتعليق الشيخ عباس القوجاني، تصحيح الشيخ محمد الآخوندي، ط3، طهران، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، 1362 هـ.ش، ج21، ص3.

هـو مثـل هذا الكفاح الـذي إذا كان ذا منحى وهـدف إلهي فسيكتسـب بذلك طابعاً قدسياً»[1].

الجهاد في الأديان السماوية

يتمتّـع الجهاد في جميع الأديان الإلهية بمكانة خاصـة. فعلى الرغم ممّا يتصوره بعضـ الأفراد من أنّ الجهـاد منحصر بالدين الإسلامي، ينبغـي أن نعلم بأنّ جهاد الظلَمة والطواغيت كان على رأس أهداف كلّ الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ويكشـف لنـا التحقيق في الآيـات والروايات، وحتـى في الكتـب المعرِّفة للأديان السابقـة أنّ سائر الأنبياء عليهم السلام قد قامـوا بمواجهة الظَلَمَة كلٌّ في زمانه، وقد أدّت هذه المواجهات إلى وقوع الحروب وسفك الدماء.

وقـد صـرّح القـرآن الكريم بدوره عـن القتـال العسكري للأنبيـاء عليهم السلام، حيث يقول تعالـى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[2]. ومعنـى الآيـة أنّـه فـي الوقت الذي أمـر الله تعالى به الأنبياء بالجهاد بـرز رجال لله شديدو الإخلاص، استجابوا لنداء الجهاد وقاتلوا في ركاب الأنبياء ضدّ الكفّار والمشركين.

وقد وردت الإشارة أيضاً في آيات أخرى إلى جهاد بعض الأنبياء عليهم السلام، من قبيل ما ذُكر بشأن الأمر لموسى عليه السلام وأتباعه بالحرب والجهاد لأجل الدخول إلى الأرض المقدَّسـة (وهي بيت المقدس أو كل بلاد الشام): ﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾[3].

(1) الجهاد من وجهة نظر الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله، نقلاً عن: WWW.KHAMENEI.IR.
(2) سورة آل عمران، الآية 146.
(3) سورة المائدة، الآية 21.

وفي آية يصوّر لنا القرآن دور داوود عليه السلام كجندي مضحّي في الحرب ضدّ جيش جالوت الظالم، وكيفَ أنّ هذا النبي عليه السلام بإقدامه على الجهاد وقتله لجالوت قد عمل بتكليفه، وكيف آتاه الله الملك والحكمة، وعلّمه ممّا يشاء بعد ذلك: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

ويشير تعالى كذلك في سورة النمل إلى التهديد العسكري الذي وجّهه سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ، والذي هدّد المشركين فيها بالحرب إن هم لم يقبلوا دعوته الإلهية: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2].

وقد جاء في الروايات أنّ إبراهيم عليه السلام ذهب إلى حرب الروم بهدف إنقاذ لوط عليه السلام من أيديهم، وأنّه كان أوّل شخص قام للجهاد في سبيل الله: «**إنّ أوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل** عليه السلام، **حيثُ أسرتِ الروم لوطاً** عليه السلام **فنَفرَ إبراهيم** عليه السلام **واستنقذه من أيديهم**»[3].

أمّا بشأن الأنبياء عليهم السلام الذين يذكر بأنّهم توجّهوا إلى الحرب، فينبغي أن نقول بأنّنا:

أوّلاً: لا نملكُ معلومات كاملة ودقيقة عن تاريخهم، حيث لم تُذكر تفاصيل حياتهم ودعوتهم لا في القرآن، ولا في أيّ كتاب آخر.

وثانياً: إنّ أكثرهم كنوحٍ وهودٍ وصالحٍ عليهم السلام عاشوا وضعاً مشابهاً لوضع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة، إذ ليس فقط لم يكن لديهم عدد كافٍ من الأصحاب لإقامة الحكومة، وتشكيلها، بل كان أعداؤهم يحيطون بهم من كلّ جانب

(1) سورة البقرة، الآية 251.
(2) سورة النمل، الآية 37.
(3) بحار الأنوار، ج12، ص15.

أيضـاً، ولم يكـن أمامهم مـن فرصة للحرب والقتـال مطلقاً. وقـد كان حال عيسـى عليه السلام بين الناس على هذا النحو في أيّامه، وأمّا انتشار دعوته وقبول الناس لدينه فقد تزامن مع ظهور الإسلام عملياً[1].

ما هي أهمّيّة الجهاد؟

عندما نتفحّص آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة نجد أنّه قلّما نزلت آيات بشـأن فرعٍ من فروع الدين الإسلامي كما هو الحـال بشأن الجهاد. فقد نزلَ البعضُ منها بلسـان صريح، مستعملة مفردتي الجهاد والقتال، فـي حين نزل البعض الآخر بلسان غير مباشر، وبقصد تفصيل المسائل الجانبية المتعلّقة به:

أفضل من الحج:

ولأجـل أن يبيّن القرآن المجيد أهمّيّـة الجهاد، عمد إلى مقارنته بخدمة الحجّاج وعمـارة المسجد الحـرام، ثم صرّح بأفضليـة الجهاد على ذلك، حيـث قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[2]، وكل الآيات التي تحدّثت عن علوّ منزلة المجاهدين في سبيل الله، تحكي في الوقت نفسه عن أهمّيّة الجهاد وفضله.

الفوز العظيم:

وقـد صرّح القـرآن الكريم بأنّ الله نفسـه يشتري أرواح المؤمنيـن المجاهدين، وأموالهـم، حيث يقـول تعالـى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم

(1) يُراجع: الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي قدس سره، قم المقدّسة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ج2، ص68.

(2) سورة التوبة، الآيتان 19 و20.

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

البشرى والرضوان:

واعتبر الله تعالى المجاهدين هم الفائزون حقيقة في هذا العالم وبشّرهم برحمة منه ورضوان، وجنّات تجري من تحتها الأنهار، وخصّهم بها دون العالمين: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[2].

خير الأعمال:

قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

وعن النبي ﷺ أنّه قال: «**الخير كلّه في السيف، وتحت ظلّ السيف ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنار**»[4].

أفضل الأعمال:

إنّ تحريك العواطف الإنسانية وحثّ الناس على الجهاد كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم

(1) سورة التوبة، الآية 111.
(2) سورة التوبة، الآيتان 20 و21.
(3) سورة البقرة، الآية 216.
(4) بحار الأنوار، ج97، ص9.

مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]، واستخدام لسان الأمـر: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، واللجـوء إلى التوبيـخ، واللوم والتهديد، وبيان عقـاب تاركه: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3]. وقسـمَ القـرآن بأنفاس خيـول المجاهديـن العادِيَةِ، وقدح النار من تحت حوافرها، والغبار المتصاعد من حركتها السريعـة: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴾[4]، كل ذلك شاهد على عظمة الجهاد.

روي أنّ النبـيّ ﷺ بعـث بسريّة كان فيها ابن رواحة، وتحـرّك الجيش مع الفجر نحـو المنطقة المحدّدة، ولكنّ ابن رواحة تخلّف عنه ليصلّي وراء النبي الأكرم ﷺ. وبعـد الصلاة، رآه النبي ﷺ فقال: ألم تكـن في ذلك الجيش؟ فأجاب: بلى، ولكنّي أحببـتُ أن أصلّـي خلفك هذه الصلاة ثم ألحقَ بهـم. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركتَ فضلَ غدوتهم**»[5].

أحبّ الأعمال:

أشـار تعالى إلى أنّ المجاهدين هم فـي الحقيقة أحباؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[6].

وعـن أبـي ذرّ الغفاري سـأل النبيّ الأكـرم ﷺ: «**أيُّ الأعمالِ أحـبُّ إلى الله عزّ وجـلّ؟ فقال: إيمان بالله، وجهـادٌ في سبيله. قال: قلتُ: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: من عقرَ جواده وأُهرقَ دمُه في سبيل الله**»[7].

---

(1) سورة التوبة، الآية 13.
(2) سورة البقرة، الآية 244.
(3) سورة التوبة، الآية 1.
(4) سورة العاديات، الآيات 1 – 4.
(5) الترمـذي، جامع الصحيـح، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، بيروت، دار الفكر، ج2، باب ما جاء في السفر يوم الجمعة، ح525، ص20.
(6) سورة الصف، الآية 4.
(7) بحار الأنوار، ج97، ص11.

درع الله:

وفي خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في أواخر عمره، حيث يقول: «**إنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحهُ الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودِرعُ الله الحصينةُ، وجُنّتهُ الوثيقة**»[1].

سنام الإسلام:

وعن أبي جعفر عليه السلام، حيث قال لأحد أصحابه: «**ألاَ أُخبرك بالإسلام وفرعه وذروته وسنامه؟ قال: قلتُ: بلى جعلت فداك، قال عليه السلام: أمّا أصله فالصلاة، وفرعه فالزكاة، وذروته وسنامه الجهاد...**»[2].

وبالإضافة إلى ما ذُكِرَ منَ الآيات والروايات، فإنّ التدقيق في دور الجهاد في الإسلام، ومنزلته بالنسبة لسائر الواجبات الدينية، يطلعنا أيضاً على أهمّيّته وعظمته. فالجهاد الدفاعي سبب في توفير الأمن، والذي في ظلّه فقط يمكن إقامة سائر الواجبات والحدود الإلهية.

وفي الجهاد الابتدائي أيضاً رفع للموانع من أمام تبليغ الدين الإلهي، وهو ما يسبّب في ميل عدد من المجتمعات البشرية نحو الدين الحقّ، ومن الواضح أنّه مع تحقّق هذا الميل وازدياد عدد المسلمين يصبح بالإمكان إرساء قواعد حكومة العدل وتنفيذ الأحكام الإسلامية بشكل واسع.

وباختصار، إنّ تبليغ أصول الدين والعمل بفروعه، مرهون في كثيرٍ من الموارد بأداء هذه الفريضة الإلهية الكبرى، وهو ما يدلّ بدوره على عظمتها.

---

(1) نهج البلاغة، الخطبة 27.

(2) بحار الأنوار، ج66، ص392.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. الجهاد لغة هو بذل الوسع والطاقة وتحمّل المصاعب في مواجهة العدو.
2. تطلـق كلمة الجهاد غالباً على عملية صَـدِّ العدو عن طريق الحرب، إلاّ أنّ معناها يتّسع ليشمل دفع كل ما يمكن أن يصيب الإنسان بالضرر.
3. الجهـاد اصطلاحـاً هو: «**بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان**».
4. حـدّد الإمام الخامنئي معنى الجهـاد ومعياريّته، حيث قال: «**الجهاد هو كل كفاح من أجل تحقيق هدف سامٍ مقدّس**».
5. أولـت الشريعـة الإسلامية الجهـاد أهمّية كبرى؛ حيث وردت آيـات وروايات عدّة تبيّن أهمّية الجهاد ودوره في حفظ الدين والمجتمع والدولة.

تعريف الجهاد

لغة: الجهاد من «**الجَهْد**» و«**الجُهْد**»، بمعنى المشقّة والعناء.

اصطلاحاً: بذل النفس وما يتوقّف عليه من المال في محاربة الظالمين.

الجهاد في الأديان السماوية

جهاد الأنبياء: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

جهاد النبي موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

جهاد النبي داوود عليه السلام: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾.

أهمية الجهاد

أفضل من الحج: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الفوز العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

البشرى والرضوان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾

خير الأعمال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف...**».

أفضل الأعمال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي نفس محمد بيده لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم**».

أحبّ الأعمال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أي الأعمال أحب إلى الله عزوجل؟ فقال: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيله...**».

درع الله: قال الإمام علي عليه السلام: «**...وهو لباس التقوى، ودرعُ الله الحصينة، وجُنّتهُ الوثيقة...**».

سنام الإسلام: الإمام الباقر عليه السلام: «**ألا أخبرك بالإسلام وفرعه وذروته وسنامه؟...أصله الصلاة، وفرعه الزكاة، وذروته وسنامه الجهاد...**».

2

تنوّع سوح الجهاد

مفاهيم محورية:

- الجهاد هو المعيار الأساس.
- الجهاد الثقافي.
- الجهاد السياسي والاقتصادي.
- الجهاد المالي.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

الجهاد هو المعيار الأساس

تمثّل الحرب المسلّحة بعداً واحداً من أبعاد الجهاد، وهو البعد المادّي في مقابلة العدو؛ إلا أنّ أعداء الإسلام لا يأتون لحربه دائماً عن طريق الأسلحة وعبر جبهةٍ واحدة، بل يختارون طرقاً مختلفة لتحقيق أهدافهم المشؤومة، حيث تُعدُّ مواجهتهم على هذه الجبهات «**جهاد في سبيل الله**» أيضاً.

وإنّ الساحات السياسية والأمنية والصناعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفنية... من الممكن أن تُبدَّل إلى ساحة حرب للحقّ ضد الباطل، وعلى المؤمنين أن يذهبوا لحرب العدو في هذه الساحات بكامل قواهم، وأن يجاهدوا لأجل إعلاء كلمة الحقّ. ومن الواضح أنّ مجاهدي هذه الميادين هم العلماء والكتّاب والقوى الإعلامية والفنّانون... كما أنّ أسلحتها هي العلم والقلم والبيان والفن...

ويشير الإمام الخامنئي إلى هذه الأبعاد بقوله: «وللجهاد ميادينه، ومن ميادينه

(1) سورة التوبة، الآية 36.

المشاركة في القتال المسلّح. وهناك الميدان السياسي، وميدان العلم، وكذلك الأخلاق. وليس الجهاد مجرّد قتال وتوجّه إلى سوح الحرب. فالسعي في ميادين العلم، والأخلاق، والتعاون السياسي، والبحث العلمي يعدّ أيضاً جهاداً. وصنع الثقافة والأفكار السليمة في المجتمع هو أيضاً جهاد. فإذن، ليس المعيار الجهاد بالسيف في ساحات القتال، وإنّما المعيار هو الكفاح، ولا بدّ للكفاح من أمرين لازمين: أحدهما أن يكون فيه جدّ وجهد وحركة، والثاني أن يكون في مقابل الأعداء»[1]. وفيما يلي، نوضح أبرز أبعاد الجهاد المشار إليها.

الجهاد الثقافي

لقد أمر الله تعالى بالمواجهة الثقافية للعدو، وقال لنبيّه ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2].

ولمّا كانت هذه الآية قد نزلت في مكة، فهي لا تحمل إشارة إلى الجهاد في ميدان الحرب، ذلك أنّ حكم الجهاد لم يكن قد شُرّع بعد في مرحلة وجود النبي ﷺ في مكة. فطوال ثلاث عشرة سنة كان النبي ﷺ يسكن فيها بمكة، عكف من خلال تبليغ القرآن للناس، والدعوة والتبليغ، وتحمّل الأذى على هذا الجهاد الثقافي العظيم.

وممّا يستفيده العلّامة الطبرسي من قيد «**جهاداً كبيراً**» في الآية، أنّ الجهاد الثقافي والردّ على شبهات الكفّار وأعداء الدين هو أثمن أنواع الجهاد عند الله تعالى وأعظمها[3].

واليوم تُعدّ مواجهة الغزو الثقافي الغربي للإسلام والمسلمين من المصاديق البارزة لجهاد أعداء دين الله أيضاً، وذلك أنّهم يسعون بكلّ وسيلة ممكنة وعن طريق

(1) الجهاد من وجهة نظر الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله، نقلاً عن: WWW.KHAMENEI.IR.
(2) سورة الفرقان، الآية 52.
(3) يُراجع، مجمع البيان، للشيخ الطبرسي، ج7، ص175.

خـداع الشباب إلى جرّهم نحو الفساد وإهمال القيم الدينية والإنسانية. وهذا بدوره يفرض ضرورة انتباه المراكز التي تُعنى بالشأن الثقافي إلى أهمّيّة التواجد في جميع الساحات بكامل الأهبّة والاستعداد، للقيام بنشر المعارف الإسلامية الأصيلة إضافة إلى ما يؤدّونه من مواجهة الثقافة المنحرفة وتحطيمها.

وهو ما أشار إليه الإمام الخميني قدس سره في وصيّته السياسية - الإلهية وحثّ عليه، داعياً الحوزة العلمية والجامعة وأهل القلم إلى أن يعوا رسالتهم العظيمة ويعملوا بها.

وممـا قاله قدس سره في وصيّتـه: «أوصي الجامعيين والشبّـان الراشدين الأعزّاء أن يبذلـوا غاية وسعهم لجعل عقـد المحبّة والانسجام مع علمـاء الدين وطلّاب العلوم الإسلامية أكثر استحكاماً، وان لا يغفلوا عن مخطّطات ومؤامرات العدو الغادر. فإنّ خطّتهـم تقضي بحرف الشبّان عن ثقافتهم وآدابهـم وقيمهم المحلية، وجرّهم نحو الشرق أو الغرب»[1].

وقـال قدس سره: «مـن جملة المخطّطـات التي تركت - وللأسـف - أثرها الكبير في مختلف البلدان وفي بلدنا العزيز - والتي ما زالت بعض آثارها باقية بنسب كبيرة - هـي جعل الدول المستعمرَة تعيش حالة فقدان الهوية والانبهار بالغرب والشرق، إلى درجـة تجعل هذه البلدان تحتقر ماضيها وثقافاتهـا وقدراتها وتعتبر الغرب والشرق القطبيـن المقتدرين والعنصرين المتفوّقين أولي الثقافة الأسمى وأنّهما قبلة العالم وتجعل من الارتباط بأحدهما أمراً مفروضاً لا يمكن الفرار منه. والحديث حول هذه المؤامـرات حديـث محزن وطويل والضربات التي تلقّيناهـا - وما زلنا - من هؤلاء المستكبريـن قاتلة ومدمّرة. والأشدّ إيلاماً مـن كلّ ذلك هو حرص أولئك على إبقاء الشعوب المظلومة المستعمرَة متخلّفة في كلّ شيء وجعل دولهم دولاً استهلاكية. فقد أذعرونـا من تقدّمهم ومن قدراتهم الشيطانية إلى حـدّ سلبنا الجرأة على المبادرة

(1) الإمام الخميني، الوصية السياسية الإلهية.

بالقيـام بأيّ إبداع ودفعنـا للتسليم لهم في كلّ الأمور وتفويضهـم مصائرنا وبلادنا والانصيـاع لأوامرهم انصياعـاً أعمى وأصم. وهذا الخواء والفـراغ العقلي المفتعل جعلنا لا نعتمد على فكرنا وإبداعنا في أي أمر ونقلّد الشرق والغرب تقليداً أعمى، بل إن الأمر بلغ حداً جعل الكتاب والخطباء الجهلة المأسورين للغرب أو الشرق يتناولون بالانتقـاد والسخريـة ويدمّرون كلّ مـا لدينا من الثقافـة والأدب والصناعة والإبداع للقضـاء على فكرنـا وإمكاناتنا الذاتية وزرع اليأس والقنـوط لدينا، مروّجين - بدلاً مـن ذلك - للعادات والتقاليد الأجنبية - رغـم انحطاطها وابتذالها - وذلك بالقول والكتابة والسلوك العملي»[1].

الجهاد السياسي والاقتصادي

من الميادين الأخرى للجهاد الميدان السياسي والاقتصادي، فينبغي التوجّه أيضاً نحـو قتال العدو وسدّ منافـذ تسلّطه وسيطرته على المجتمع الإسلامي في المجالين السياسـي والاقتصـادي؛ لأنّ القرآن قد صرّح لأول مرّة وبمنتهى القاطعية - بأنّ الله سيقطـع جميع الطرق والسبل أمام تسلّط الكافريـن على المؤمنين - ولهذا السبب، يجـب علينا أن نجدّ في السعي من أجل تنفيذ هذا القانون الإلهي، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[2].

ومـن هنا، تقـع على المسلميـن مسؤولية الانتبـاه لتحرّكات العـدو على مثل هذه الجبهـات بمنتهى الوعـي واليقظة، وأن لا يسمحوا له عن طريـق تقدّمه التكنولوجي والاقتصادي أو عن طريق سوء الاستفادة من الروابط التجارية، والإمكانات السياسية والمؤسّسـات الدوليـة، أن يمتلـك زمـام المبادرة للإضـرار بالمجتمـع الإسلامي، وبالتالي أن يستعمره ويستغلّه، وينفث سمومه العقائدية والفكرية في داخله.

(1) الإمام الخميني، الوصية السياسية الإلهية.
(2) سورة النساء، الآية 141.

ولـذا نجد الإمام الخميني من موقع مرجعيّته الدينيـة، وببصيرته الثاقبة، يشير إلـى سُبل تسلّـط العدو على المجتمـع الإسلامي، ويدعو إلى يقظـة الأمة الإسلامية ومشاركتها في الجهاد، قبل أن يتمكّن العدوّ من السيطرة، وهو لهذا الغرض قد أفتى قائلاً: «لو خِيفَ على حوزة الإسلام من الاستيلاء السياسي والاقتصادي المُنْجَرّ إلى أسرهـم السياسي والاقتصادي، ووهنِ الإسلام والمسلميـن وضعفهم، يجب الدفاع بالوسائـل المشابهـة والمقاومات المنفيـة، كترك شراء أمتعتهم، وتـرك استعمالها وترك المراودة والمعاملة معهم مطلقاً»[1].

ولقد اعتبـر الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ مثل هذه الروابـط السياسية وعقد الاتفاقات المخالفة لمصلحـة الإسلام والمسلمين، والتي تؤدّي إلى نفـوذ الأجانب وتسلّطهم، اعتبرها عملاً محرّماً.

كمـا ويشيـر إلـى أنّـه إن أذعن بعضـ قادة الـدول الإسلاميـة ووقّعـوا مثل هذه الاتفاقات، فقد خانوا، ويُعدُّون معزولين من مقامهم.

وفي المقابل، يجب شرعاً على المسلمين في مثل هذه الأحوال أن يواجهوا إلى أن تنقطع سيطرة الكفار عن بلاد المسلمين، إلى أن يصير النصر حليف المؤمنين على هذه الصُّعُد أيضاً[2].

الجهاد المالي

ويُعـدّ الجهاد المالي من الميادين الأخرى للجهاد؛ حيث اعتبر القرآن المجيد أنّ الجهـاد على قسمين: جهاد بالمال وجهاد بالروح، وبالإضافة إلى أنّه أوصى بالجهاد مطلقـاً – وهـو ما يشمل هذين القسمين معاً – نجدهُ قد ذكر كلاًّ من هذين القسمين في إحدى عشرة آية. وكمثال، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ

(1) الإمام الخميني قدس سره، تحرير الوسيلة، بيروت، دار التعارف، 1424هـ.ق، 2003م، ج1، ص437.
(2) يُراجع: تحرير الوسيلة، ج1، ص437-438.

ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[1].

وفي عشر من الآيات التي ورد فيها ذكر الجهاد بالمال جنباً إلى جنب مع الجهاد بالنفس، يُلاحظ تقدّم الحديث عن الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس. ومن الممكن أن تكون حكمة هذا التقديم هي الآتي:

أولاً: أنّ الجهاد بالمال يُمثّل في الغالب مقدّمة للوصول إلى الجهاد بالنفس، حيث لا بدّ للمجاهدين من صرف مقدار من أموالهم في تهيئة عدّة الجهاد وعتاده، وذلك قبل التوجّه إلى الجبهة ومواجهة العدو.

ثانياً: أنّ أكثر المسلمين إن لم نقل جميعهم يحوزون شروط الجهاد بالمال، في حين أنّ الجهاد بالنفس هو نصيب أفرادٍ محدّدين يمتلكون شروط المشاركة فيه. فمع أنّ القاعدين عن الخروج إلى الحرب بسبب الكهولة أو المرض... بالإضافة إلى النساء هم معذورون عن المشاركة في الجهاد بالنفس، إلاّ أنّه يجب عليهم بقدر الاستطاعة أن يشاركوا في الجهاد بالمال. وعليه، فدائرة الجهاد بالمال أوسع من دائرة الجهاد بالنفس وأكثر شمولاً لأفراد المسلمين.

وفقط في مورد واحد ذُكِرَ الجهاد بالنفس قبل الجهاد بالمال، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2]، والسبب في ذلك أنّ الله تعالى قد أشار فيها إلى نفسه باعتباره مشتري أرواح المؤمنين وأموالهم، ومن الطبيعي حينئذٍ أنّه ينبغي أن يختار تقديم البضاعة الأَنْفَس.

(1) سورة التوبة، الآية 20.

(2) سورة التوبة، الآية 111.

الجهاد بالمال في الروايات:

وكذلك، جاء ذكرُ الجهاد بالمال والجهاد بالروح معاً في الروايات. ونذكر على سبيل المثال منها، عن رسول الله ﷺ: «**إنّ الله عزّ وجلّ ليُدخل في السهم الواحد الثلاثةَ الجنّةَ: عامل الخشبة والمقوي به والرامي به في سبيل الله**»[1].

وفي بعض الروايات، اعتبر ﷺ المجاهدين بأموالهم كمن يُجاهدون بأرواحهم، حيث ورد عنه ﷺ: « **من جهّز غازياً بسِلْكٍ أو إبرة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**»[2].

ولقد كان المؤمنون في صدر الإسلام يُقدِمون على الجهاد بالمال بالرغم من صعوبته، حيث كان كلُّ شخص يُنفق في سبيل الله بما يتناسب مع وضعه المالي، ولو مقدار شقّ تمرة[3]. وفي بعض الأحيان، كان النبي الأكرم ﷺ يطلب من الأشخاص الذين كانوا يفتقدون جرأة الخروج إلى القتال، أن يؤدّوا تكليفهم بالجهاد المالي، مع أنّ للجهاد المسلّح منزلة خاصة في نفسه، حيث ورد عنه ﷺ: «**من جَبُنَ من الجهاد فليجهّز بالمال رجلاً يجاهد في سبيل الله، والمجاهدُ في سبيل الله إن جُهِّز بمال غَيره، فله فضل الجهاد، ولِمن جهّزه فضل النفقة في سبيل الله، وكلاهما فضلٌ، والجود بالنفس أفضلُ في سبيل الله من الجود بالمال**»[4].

ومن الواضح كما أورد الفقهاء في كتاب الجهاد أنّ المقاتلين في جيش رسول الله ﷺ كانوا مكلّفين بتأمين جيادهم وأسلحتهم من أموالهم.

---

(1) الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط3، طهران، دار الكتب الإسلامية، 1367هـ.ش، ج5، باب فضل ارتباط الخيل، ح13، ص50.

(2) مستدرك الوسائل، ج11، ص24.

(3) يُراجع، مجمع البيان، للشيخ الطبرسي، ج5، ص54.

(4) مستدرك الوسائل، ج11، ص24.

هدفنا من الجهاد المالي:

مـع أنّ المصـداق البـارز للجهـاد بالمـال هـو الإنفـاق والصرف فـي الجبهات العسكريـة، إلاّ أنّه بالالتفات إلـى أبعاد الجهاد، يُعلمُ بأنّ الجهـاد المالي لا ينحصر فـي المجالات العسكرية، بل ينبغي عدم الامتناع عن بذل المال في سائر المجالات، ويجب - مع رعاية الإمكانات والظروف الموجودة والاحتياجات اللازمة - الإنفاق في كلٍّ منها، وإفشال أهداف العدو.

ولكن يبقى أنّه كما يستلزم الدفاع والجهاد في سبيل الله صرف أموال كثيرة لأجل هـذا الغرض، كذلك الأمر بالنسبة لامتلاك الجهوزيـة الدفاعية وتهيئة أسباب الردّ على الحملات المفاجئة للعدو.

وعلـى الرغـم من أنّ سـدّ هذه الحاجة وتأميـن الميزانية اللازمـة هو من ضمن مسؤوليـات الحكومـة الإسلاميـة، إلاّ أنّـه يجـب أيضاً علـى الشعـب أن ينفق بقدر استطاعته من أجل تأمين مصاريف الحرب والدفاع.

ولكـي يشجّع الله تعالـى الناس على الإنفاق في هذا الطريـق، بشّرهم بأنّ كلّ ما ينفقونه من أجل تأمين الجهوزية الحربية، سوف يُرَدّ إليهم. حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[1].

فهـذا الوعد الإلهي يبعـث الأمل في نفوس المؤمنين، ويدفعهم إلـى الإنفاق في سبيل الجهاد بطمأنينة؛ لأنّ هذه المعاملة هي مع الله، وأنّ الله سوف يُثيبهم على ما فعلوا في هذه الحياة أو في الحياة الآخرة.

(1) سورة الأنفال، الآية60.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. للجهاد ميادينه، ومن ميادينه المشاركة في القتال المسلّح. وهناك ميادين أخرى، منها: الميدان الثقافي، والميدان السياسي، والميدان الإقتصادي، والميدان المالي.
2. الجهاد الثقافي: تُعدّ مواجهة الغزو الثقافي الغربي للإسلام والمسلمين من المصاديق البارزة لجهاد أعداء دين الله، وذلك أنّهم يسعون بكلّ وسيلة ممكنة وعن طريق خداع الشباب إلى جرّهم نحو الفساد وإهمال القيم الدينية والإنسانية.
3. الجهاد السياسي والاقتصادي: من خلال سدّ منافذ تسلّط العدو وسيطرته على المجتمع الإسلامي في المجالين السياسي والاقتصادي، والحؤول دون أن يمتلك زمام المبادرة للإضرار بالمجتمع الإسلامي، وبالتالي أن يستعمره ويستغلّه.
4. الجهاد المالي: باعتبار أنّ إعداد القوّة العسكرية والجهوزية التامّة تحتاج إلى دعم مالي كبير، إضافة إلى دعم الميادين السياسية والثقافية والعلمية والتربوية باعتبارها من الميادين التي يمكن أن ينفذ العدو من خلالها للإضرار بالمجتمع الإسلامي والتسلّط عليه.

الجهاد الثقافي
﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا﴾.
سيرة رسول الله ﷺ في تبليغ الرسالة طوال حياته تشهد على أهمية ومكانة الجهاد الثقافي.
سيرة علماء الإسلام ووصاياهم تشهد بذلك لا سيما الإمام الخميني قدس سره والقائد الخامنئي دام ظله.
الجهاد السياسي والاقتصادي
الجهاد السياسي والاقتصادي يعني منع سيطرة العدو على المجتمع الإسلامي سياسياً واقتصادياً.
﴿...وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.
اعتبر الإمام قدس سره أن هذا الجهاد ضرورة ثورية في قيام أي ثورة في العالم.
الجهاد بالمال
القرآن الكريم
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.
الروايات الشريفة
عن النبي ﷺ: «من جهّز غازياً بسلك أو إبرة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.
الهدف الأسمى
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

3

الآثار الدنيوية للجهاد

مفاهيم محورية:

- العزّة والرفعة.
- الحياة والحركة.
- الاكتفاء الذاتي، والاعتماد على النفس.
- فصل الحق عن الباطل.
- التوحّد في وجه الباطل.
- معرفة الصديق من العدو.
- الغلبة والنصر.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[1].

تمهيد

كما هو الحال في سائر العبادات، فإنّ لتأدية الجهاد بنيّة خالصة في سبيل الله آثاراً كثيرة، سيظهر البعض منها في دار الدنيا والبعض الآخر في يوم القيامة والدار الآخرة. ونحن سنقوم ببيان هذه الآثار بالاستفادة من الآيات والروايات:

العزّة والرفعة

ترتبط حياة المجتمع بحياة أفراده. فالمجتمع الذي يتواجد فيه أشخاص مجاهدون بفعاليّة، يبقى في حالة دائمة من النشاط والتقدّم السريع، ويحافظ على دوامه واستمراريّته، ولكنّ المجتمع الذي يحوي أفراداً ضعافاً وخاملين، وبلا تأثير، هو مجتمع ميّت.

---

(1) سورة المائدة، الآية66.

ومـن هنا، يُعدُّ حفظ حياة المجتمع الإسلامي من أفضل آثار الجهاد، حيث يكونُ الجميع فيه مستعدين للدفاع عن الدين الإلهي وعن المظلومين، وللهجوم على العدو في الفرصة المناسبة؛ لإبطال كيده وإضعافه أو القضاء عليه. وتفويت فرصة امتلاك العدو قدرة التسلّط والاعتداء على أموال المسلمين وأرواحهم وأعراضهم وحقوقهم.

فمثـل هكـذا مجتمـع يقضي حياتـه بعزّة ورفعـة، وطالمـا أنّه يحافـظ على هذه الروحية فلن يُبتلى بالذلّ أبداً. وقد عرّف القرآن المجيد الجهاد بعنوانه منشأ صيانة المجتمعات الإيمانية ضدّ أذى الكفّار والمشركين، حيث يقول تعالى بعد توجيه الأمر إلـى الرسول ﷺ بالحـرب: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[1].

وإنّ تاريـخ صدر الإسـلام هو خير شاهد علـى هذا المدّعى. فإلـى الحين الذي تمسّـك فيه المسلمـون بالجهاد، وحافظوا على زمام المبـادرة بالهجوم في أيديهم، كانـوا يعيشون مكلّلين بالنصر والعـزّة. ولكن في ذلك الوقت الذي تركوا فيه الجهاد وسعـوا وراء الدنيـا، وجلسـوا على عرش الرئاسـة، وانصرفوا إلى الملـذّات، فقدوا مكانتهم، وهجم عليهم أعداء الداخل والخارج، وأبادوا مجدهم وعظمتهم.

ولقـد شهدنا في العصر الأول توسّع نفوذ الحكومـة الإسلامية، ووصول نداء التوحيد والعـدل إلى أكثر بلاد تلك الأزمنة. غير أنّنا شهدنـا بعد ذلك أفول الحكومة الإسلامية، وانفصال البلاد المفتوحة، بل وحتى عودة عدد من المسلمين الجدد إلى أديانهم السابقة.

فـإنّ العـزّة والرفعة اللذيـن يحدثان علـى أثر الجهاد يمتـدُّ أثرهمـا أحياناً إلى الأجيال اللاحقة، ولا يقتصران على الجيل الحاضر. وعلى هذا الصعيد، يقول النبي الأكرم ﷺ: «**أُغزوا تُورِّثوا أبناءكم مجداً**»[2].

(1) سورة النساء، الآية 84.

(2) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج15، باب 1 من أبواب الجهاد، ح16، ص15.

ويشير الإمام الخامنئي إلى ذلك بقوله: «أوج عظمتكم المعنوية الملفتة هو في هذه الناحية الخفية، حيث كنتم تعون ماذا تفعلون وتعرفون لأي شيء تقاتلون. وإذا كان هذا سند عملكم الوحيد فسيرتجف العدو عندئذ من سماع اسمكم، فكيف وأنتم أرفع من ذلك، حيث سمعتم بآذانكم المعنوية النداء القرآني السماوي: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1]»[2].

الحياة والحركة

حيث يدفعُ حصول الحرب وما ينتج عنها من مشكلات الناس إلى التحرّك، فتصير سبباً لاهتمام الجميع بالسُّبل الآيلة إلى صدّ العدو.

وهذا الأمر، يمنعُ أكثر أفراد المجتمع عن الخوض في الأمور الجزئية وغير المفيدة، ويبدّل روحيّة حبّ الاسترخاء والرفاه إلى روحيّة السعي والجدّ وارتفاع المعنويات القتالية. والجهود والقدرات العسكرية تعدُّ أيضاً من أفضل الآثار التي تنشأ على أثر تحرّك القوى.

وفي سياق بيانه أنّ الحرب تُخرج الناس من حالة الخمود وتُجبرهم على التحرّك، يقول الإمام الخميني قدس سره: «تُعدّ الحرب أمراً جيداً من بعض النواحي، وذلك أنّها تُبرِز الشجاعة الموجودة في داخل الإنسان، وتؤدّي إلى تحريكه وإخراجه من حالة الخمود... فإنّ قوى الإنسان تتّجه دائماً نحو الخمود، وأولئك الذين يعتادون على الرخاء والرفاهية خصوصاً، سيكون حالهم أسوأ، ولكن عندما تقع حرب ما وتتجلّى خلالها الملاحم... ولا يبقى إلاّ صوت المدافع، فكلُّ ذلك يُخرج الإنسان من حالة الخمود والضعف، فتظهر حقيقة الإنسان وتبرز فعاليّته وطاقاته إلى العلن»[3].

(1) سورة سبأ، الآية 46.

(2) پيام انقلاب، ص49.

(3) بلاغ، سخنان موضوعى، امام خميني قدس سره، سازمان تبليغات اسلامى، ج3، ص272.

الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس

تؤدّي الحربُ إلى إيجاد صعوبات جمّة، وإلى وقوع المجاهدين تحت وطأة الحصار أحياناً. وهذه الضغوط نفسُها تدفع بالشعب إلى قطع يد الاعتماد على الأجانب، والى الاعتماد على النفس في المقابل.

فعامل الاعتماد على النفس والسعي لأجل رفع الاحتياجات عن طريقه، يؤدّي إلى نموّ الأدمغة ونضجها، ولهذا السبب قال الإمام الخميني قدس سره: «لقد كانت هذه الحرب، وهذا الحصار الاقتصادي وإخراج الخبراء الأجانب هدية إلهية كنّا غافلين عنها. واليوم، مع توجّه الحكومة والجيش لحظر بضائع ناهبي العالم، وللسير في طريق الابتكار بكلّ جدٍّ ونشاط، فإنّ الأمل معقود على حصول البلد على الاكتفاء الذاتي، والنجاة من الفقر والتبعية للأعداء. ولقد رأينا بأمّ العين كيف أنّ كثيراً من المصانع والوسائل المتطوّرة - كالطائرات وغيرها من الوسائل - والتي لم يكن يُتصوّر أن يتمكّن المتخصّصون الإيرانيون من تشغيلها، في وقت كان الجميع قد مدّوا أيديهم إلى الغرب أو الشرق من أجل أن يدير متخصّصوهم هذه المصانع والوسائل. ورأينا كيف أنّه وعلى أثر الحصار الاقتصادي والحرب المفروضة، قام شبابنا أنفسُهم بصنع قطع الغيار الضرورية وبقيمة أقل من المعروض، وسدّوا باب الحاجة، وأثبتوا أنّنا إن عزمنا فنحن قادرون على القيام بكلّ شيء»[1].

ويشير الإمام الخامنئي دام ظله إلى ذلك بقوله: «حافظوا على المسار في خططكم من أجل الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس. وإنّني أتهم كلّ من يقول باستحالة هذا الأمر. فلا يوجد شيء اسمه «مستحيل»؛ لأنّ الإنسان ينطوي على قابليّات جبّارة تجعل المستحيل ممكناً»[2].

(1) بلاغ، سخنان موضوعى، امام خمينى قدس سره، سازمان تبليغات اسلامى، ج3، ص454.
(2) الإمام الخامنئي، حديث ولايت، ج1، ص54.

فصل الحقّ عن الباطل

مـن الآثار الأخرى المهمّة للجهاد، هو فصل خطّ النفاق عن المجتمع الإسلامي. ففي كلّ مجتمع يعيش المؤمنون الخُلّص جنباً إلى جنب مع ضعاف الإيمان والمنافقين مـن الناس، ومن الصعب جدّاً في زمن السلم والصلح تمييز هذه الفئات، إذ كثيراً مـا يُظهر المنافقون وضعاف الإيمـان أنفسهم بصورة المدافعين عن الحقّ أكثر من المؤمنيـن الحقيقيين. ولكن فـي الشدائد، بالخصوص في أوقـات وقوع أحداث من قبيل الحرب والجهاد، تُعرف معادن الرجال وتمتاز صفوف الحقّ عن الباطل، فيبقى المؤمنون الحقيقيون، الصابرون والأوفياء، في الساحة حتى النهاية، في الوقت الذي يُخلي الآخرون الميدان ويفرّون.

ولقـد أشار القرآن المجيد إلـى هذه الحقيقة بشكل متكرّر، وإلـى أنّ الله لو شاء لنصـر الحقّ مـن دون الاستفادة مـن الفئة المجاهـدة، ولجعل دينـه ينتشر في كلّ العالـم، ولكنّه لم يختَرْ هذا الطريق، بـل أراد أن يمتاز الخُلّص عن غير الخُلّص في ساحة الحرب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

وفي آية أخرى، ولأجل توبيخ المنافقين، يخاطب تعالى نبيّه ﷺ، قائلاً: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[2]، لأنّ المنافقيـن لو لـم يأخذوا الأذن بالخروج من ميدان الحرب، وبقوا بين المؤمنين، فسوف يُعرفون بعد مدّة قصيرة من الزمن، وتتّضح حقيقتهم.

التوحّد في وجه الباطل

إنّ الشعب الذي يكون مُبتَلى في أيام الصلح والهدوء بالمشاكل الداخلية، ومشغولاً بالاختلافات الجزئية، يتوحّد على أثر اشتعال الحرب وظهور العدو، ويقوم في وجهه.

(1) سورة محمّد، الآية 31.
(2) سورة التوبة، الآية 43.

فـإنّ الحرب تقود جميع الطاقات والقوى في اتجاه واحد، وتجعلها تنضوي تحت راية واحـدة، وتوجِـدُ روح التعـاون فيما بينهـا، وتصير سببـاً في بروز الإيثـار والتسامح وعشرات الصفات الأخلاقية السامية.

معرفة الصديق من العدو

إنّ معرفـة الأصدقاء من الأعداء خارج حدود البلد لهي من الآثار الأخرى للحرب والجهـاد، ذلـك أنّه ما لـم تقع الحرب، فـإنّ الكثير مـن الدول تتحدّث عـن أواصر الصداقـة والعلاقات المتينـة، ولكن في زمن الحرب والمصاعـب، يمتاز الأصدقاء الحقيقيون عن الأعداء، ويُظهرون أنفسهم للعيان.

الغلبة والنصر

فـي بعض الموارد، يُعدّ الانتصار على العدو أحد أفضل آثار الجهاد، لأنّه مع عدم بـذل الجهد في ساحة الحـرب لا يتحقّق الانتصار، والشعب الـذي قد جلس منتظراً النصر دون تحمّل العناء وتقديم الجهود، لن يقطف سوى الحسرة جرّاء ذلك.

والقـرآن المجيد، بعد تعداد الآثـار المعنوية والأخروية للجهـاد، يشير في سورة الصـف المباركة إلى هذا الأثـر الدنيوي، حيث يقول تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وممّـا ينبغي الإشارة إليه أنّ المجاهدين في سبيـل الله منتصرون وأعزّاء حتماً، سـواء عن طريـق الانتصار الظاهري وهزيمة العدو، أم بنيـل الشهادة والوصول إلى جـوار رحمـة الحقّ سبحانه، حيـث قد أثنى القـرآن الكريم على هاتيـن النتيجتين: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[2].

(1) سورة الصف، الآية 13.

(2) سورة التوبة، الآية 52.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. إنّ لتأدية الجهاد بنيّة خالصة وفي سبيل الله آثاراً كثيرة، بعضها يظهر في دار الدنيا والبعض الآخر في يوم القيامة والدار الآخرة.
2. العزة والرفعة: من النتائج الدنيوية للجهاد، فالمجتمع الذي يتواجد فيه أشخاص مجاهدون بفعالية، يبقى في حالة دائمة من النشاط والتقدّم السريع، ويحافظ على عزته وكرامته.
3. الحياة والحركة: حيث يدفعُ حصول الحرب وما ينتج عنها من مشكلات الناس إلى التحرّك، فتصير سبباً لاهتمام الجميع بالسُّبل الآيلة إلى صدّ العدو.
4. تقوية روح الاكتفاء الذاتي: حيث تؤدّي الحربُ إلى إيجاد صعوبات جمّة، وإلى وقوع المجاهدين تحت وطأة الحصار. وهذه الضغوط نفسُها تدفع بالشعب إلى قطع يد الاعتماد على الأجانب، والى الاعتماد على النفس.
5. فصل الحق عن الباطل: ففي الشدائد، وبالخصوص في أوقات وقوع أحداث من قبيل الحرب والجهاد، تُعرف معادن الرجال وتمتاز صفوف الحقّ عن الباطل.
6. الوحدة: لأنّ الحرب تقود جميع الطاقات والقوى في اتجاه واحد، وتجعلها تنضوي تحت راية واحدة، وتوجِدُ روح التعاون فيما بينها.
7. معرفة الصديق من العدو: ففي زمن الحرب والمصاعب، يمتاز الأصدقاء الحقيقيون عن الأعداء، ويُظهرون أنفسهم للعيان.
8. النصر: لأنّ المجاهدين في سبيل الله منتصرون وأعزّاء حتماً، سواء عن طريق الانتصار الظاهري وهزيمة العدو، أم بنيل الشهادة والوصول إلى جوار رحمة الحقّ سبحانه.

العزّة والرفعة

- المجتمع القوي هو الذي يحافظ أبناؤه على عزّته ورفعته من خلال جهادهم وثباتهم.
- قال رسول الله ﷺ: «**أُغزوا تُورَّثوا أبناءكم مجداً**».

الحياة والحركة

- يؤثّر الجهاد على المجتمع ويحوّل تفكيره وتركيزه إلى قضاياه الهامة.
- إن الجهاد يُبرز فعالية الإنسان وطاقته ويخرجه من حالة الجمود والضعف.

تقوية روح الاكتفاء الذاتيّ

- يؤثّر الجهاد على المجتمع ويحوّل تفكيره وتركيزه إلى قضاياه الهامة.

الوحدة والتوحّد في وجه الباطل

- ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ... ﴾.

معرفة الصديق من العدو

- إن وقوع القتال بين المسلمين وغيرهم يؤدّي إلى معرفة وتمييز الأعداء من غيرهم.

النصر أوالشهادة

- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾
- ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

4

البركات المعنوية والأخروية للجهاد

مفاهيم محورية:

- الحياة الحقيقية.
- النجاة من العذاب.
- غفران الذنوب.
- عدم الافتتان في القبر.
- الفوز بالجنة.
- مجاورة الربّ.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[1].

للجهاد مجموعة من الآثار المعنوية والأخروية، فيما يلي نذكر نبذة عنها:

الحياة الحقيقية

إنّ لمفهوم الحياة مراتب عديدة، تبدأ بالحياة الدنيوية وتُختم بالحياة الأخروية للإنسان. وتقع الحياة الدنيوية بالنسبة إلى الحياة الأخروية في درجة متدنّية جدّاً إلى الحدّ الذي وصفها القرآن المجيد في آياته – قياساً إلى الحياة الأخروية – باللهو واللعب، مشيراً إلى أنّ الحياة المطلقة والحقيقية هي الحياة الآخرة. يقول تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[2].

---

(1) سورة التوبة، الآيات 20 – 22.

(2) سورة العنكبوت، الآية64.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2].

فلم يكن الهدف من إرسال الأنبياء عليهم السلام ونزول الكتب السماوية والشرائع الإلهية سوى العمل على جعل الحياة الدنيوية للإنسان حياة أخروية، ليستفيد من نعيمها ويتمتّع ببركاتها.

ومن جملة الآيات التي تدعو الإنسان إلى هذا الأمر المهم، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ...﴾[3].

وعلى الرغم من أنّ هذه الآية مطلقة، ويستفادُ منها أنّ إجابة الله والرسول في قبول كلّ المعتقدات السماوية والعمل بجميع التعاليم والأحكام يؤدّي إلى حياة الإنسان وعيشه عيش الآخرة، إلاّ أنّ وجودها بين آيات الجهاد يجعلها ناظرة إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ المؤمنين يوصلون أنفسهم إلى نبع الحياة الخالدة في حال استجابوا لدعوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم للجهاد في سبيل الله والتزموا بأحكامه. وهذه الاستجابة وحدها هي التي سترتقي بهم بعيداً عن هذه الحياة الدنيا، وتربطهم بالأحياء الحقيقيين.

ولعل الحديث الذي نُقل عن الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن ناظر إلى هذا المعنى، حيث قال عليه السلام: «**المجاهدون تُفتّح لهم أبوابُ السماء**»[4]، فلفظ «**أبواب السماء**» يشير من ناحية إلى علوّ المنزلة والمقام الذي يحوزه المجاهدون، والى الحياة المعنوية الخالدة من ناحية أخرى.

(1) سورة آل عمران، الآية 169.
(2) سورة البقرة، الآية 154.
(3) سورة الأنفال، الآية 24.
(4) الآمدي، عبد الواحد بن محمد تميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم، 1366هـ.ش، ح1347.

وعنه أيضاً عليه السلام: «**ألا وإنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمعَ الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى، ما ضرّ إخواننا الذين سُفكت دماؤهم بصفّين ألا يكونوا اليوم أحياء... أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟!... الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة**»[1].

النجاة من العذاب

لقد عبّر القرآن المجيد عن الجهاد في سبيل الله بتعبير التجارة المنجّية، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2].

وحول هذا الأمر، يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يَجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخانٌ في جهنّم**»[3].

غفران الذنوب

يُعدّ شمول الوعد الإلهي بغفران الذنوب للمجاهدين، أحد آثار الجهاد في سبيل الله، حيث يفيض سبحانه عليهم هذه النعمة الكبرى. ويشير القرآن المجيد إلى هذه الحقيقة، في قوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[4].

والسرّ وراء هكذا إكرام، يكمن في أنّ المجاهد بمجرّد وضعِ قدمه في ساحة الحرب، يكون قد أعرض عن الدنيا وزخارفها، ووضع نصب عينيه تهذيب النفس وإصلاحها، والوصول إلى المقامات المعنوية السامية، حيث تتكامل روحه في أجواء

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسّسة إسماعيليان، ج10، ص99.
(2) سورة الصف، الآيتان 10 و11.
(3) مستدرك الوسائل، ج11، ص13.
(4) سورة الصف، الآية 12.

القتـال والجبهة، ويقع مورداً لعناية الله تعالى ولطفه. بـل ليس تغفر ذنوبه الماضية فحسب، بل يتشكّل في باطنه استعداد أعلى يمنعه عن ارتكاب المعاصي.

وعـن الإمام الباقر عليه السلام: «**كلّ ذنب يكفّره القتل في سبيل الله إلا الدَين، فإنّه لا كفارة له إلا أداؤه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحقّ**»[1].

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قُتِلَ في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته**»[2].

عدم الافتتان في القبر

فعـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مـن لقي العـدو فصبر حتى يقتـل أو يغلب لـم يفتن في قبره»[3].

وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم لمّا سُئل عن عدم افتتان الشهيد في القبر: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[4].

الفوز بالجنّة

إنّ الجنّـة محلّ ضيافة الله تبارك وتعالى لعبـاده الصالحين وأحبائه المقرّبين، أولئك الذيـن قدّموا إرادة الحبيب في الدنيا على أهوائهـم، والتزموا طاعته وعملوا بأوامره.

والمجاهـدون هم الفئة الأبرز مـن بين عباد الله الصالحين هـؤلاء، إذ إنّهم قد ترفّعـوا عن أرواحهم وأموالهم وكل وجودهم، وقدّموها رخيصة للحبيب. فبهجرتهم

(1) العروسـي الحويـزي، الشيخ عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، صححه وعلق عليه أشرف على طبعه الحاج السيـد هاشـم الرسولـي المحلاتي، مؤسسـة اسماعيليان للطباعة والنشـر والتوزيع، قم - إيـران، ج1، ح402، ص517.

(2) وسائل الشيعة، ج15، باب 1 من أبواب الجهاد، ح19، ص16.

(3) المتقي الهندي، كنز العمال، الطبعة: 1989م – 1409هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان، ح10662.

(4) م. ن، ح10662.

وجهادهم نصروا دين الله، وبسيوفهم فتحوا أقفال الجنّة، كما قال الرسول الأكرم ﷺ: «**السيوف مفاتيح الجنّة**»[1].

وفي هذا بيان لما وعد الله تعالى به المجاهدين في القرآن الكريم حيث قال: ﴿... وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

مجاورة الربّ

يسعى المؤمنون عن طريق الجدّ والالتزام الدائم بأداء العبادات وترك المعاصي نحو الوصول إلى محضر الحقّ عزّ وجل، وهم يتحمّلون لذلك مصاعب جمّة. إلا أنّ وجود العلائق يدعو الإنسان بشكل متواصل إلى عالم الدنيا المادّي، ويمنعه من السير إلى الله سبحانه.

ومن بين الواجبات الإسلامية، يتمتّع الجهاد بخاصّيّة فريدة تُمكّنه من قطع تعلّقات الإنسان؛ نظراً للشدائد في الحرب ومواجهة العدو. فهو يجعل من المجاهد حقّاً شخصاً يتوجّه إلى مبدأ القدرة، ويتوكّل على الله، ويُدنيه من مقام القرب الإلهي.

فبعد أن يأمر القرآن المجيد المؤمنين بابتغاء الوسيلة للتقرّب من الله، يأتي على ذكر الجهاد مباشرة، وفي ذلك إشارة إلى عظمة الجهاد وأثره في تحقيق هذا القرب. حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الموضوع أيضاً، فقال: «**أيها الناسُ استعدّوا لقتالِ عدوّ في جهادِهم القربةُ إلى الله عزّ وجل ودركُ الوسيلة عنده**»[4].

(1) مستدركُ الوسائل، ج11، ح12293، ص13.
(2) سورة الصف، الآية 12.
(3) سورة المائدة، الآية 35.
(4) شرح نهج البلاغة، ج2، ص194.

∞ المفاهيم الرئيسة:

للجهاد مجموعة من الآثار المعنوية والأخروية، أبرزها الآتي:

1. الحياة المعنوية: لأنّ المجاهدين يوصلون أنفسهم بالجهاد إلى نبع الحياة الخالدة، وتُفتّح لهم أبوابُ السماء.
2. النجاة من العذاب الإلهي: حيث كتب الله تعالى على نفسه تنجية المجاهدين من العذاب إذا التزموا بالجهاد.
3. غفران الذنوب: لأنّ المجاهد بمجرّد وضعِ قدمه في ساحة الحرب، يكون قد أعرض عن الدنيا وزخارفها، ووضع نصب عينيه تهذيب النفس وإصلاحها، والوصول إلى المقامات المعنوية السامية، حيث تتكامل روحه في أجواء القتال والجبهة، ويقع مورداً لعناية الله تعالى ولطفه. بل ليس تغفر ذنوبه الماضية فحسب، بل يتشكّل في باطنه استعداد أعلى يمنعه عن ارتكاب المعاصي.
4. عدم الافتتان في القبر: فعن رسول الله ﷺ: «**من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره**».
5. الدخول إلى الجنّة: حيث جعل الله تعالى الجنة محلّ ضيافة عباده الصالحين وأحبّائه المقرّبين، والمجاهدون هم الفئة الأبرز من بين عباد الله الصالحين هؤلاء، إذ أنّهم قد ترفّعوا عن أرواحهم وأموالهم وكلّ وجودهم، وقدّموها رخيصة للحبيب.
6. مجاورة الرب: حيث يتمتّع الجهاد بخاصّيّة فريدة تمكّنه من قطع تعلّقات الإنسان؛ نظراً للشدائد في الحرب ومواجهة العدو. فهو يجعل من المجاهد حقّاً شخصاً يتوجّه إلى مبدأ القدرة، ويتوكّل على الله، ويُدنيه من مقام القرب الإلهي.

الحياة الحقيقية

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

النجاة من العذاب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

غفران الذنوب

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قُتل في سبيل الله لم يُعرّفه الله شيئاً من سيئاته**».

عدم الافتتان في القبر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره**».

الفوز بالجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**السيوف مفاتيح الجنّة**».

مجاورة الرب عزّ وجل

قال الإمام علي عليه السلام: «**أيها الناس استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله عزّ وجلّ ودركُ الوسيلة عنده**».

5

تبعاتُ ترك الجهاد

مفاهيم محورية:

- خراب دور العبادة.
- الذلّة والمهانة.
- ضعف الإيمان.
- الحرمان من التكامل المعنوي.
- الميل نحو الباطل.
- الحرمان من العدالة.
- عذاب الآخرة.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[1].

تمهيد

بالإضافة إلى ما ذكرناه من الآثار السلبية على المستوى الدنيوي، إن لترك الجهاد آثاراً سلبية أيضاً على المستويين المعنوي والأخروي هي أخطر وأفدح بكثير، حيث يؤدّي التهاون في أمر الجهاد والقعود عنه إلى عواقب وخيمة جداً على عاقبة الإنسان ومصيره. وسوف نقوم في هذا الدرس بالتعرّض لها وبحثها مفصّلاً على ضوء الآيات والروايات. من أهم هذه العواقب:

بالإضافة، إلى خسران الآثار الطيّبة التي أشرنا إليها في الدرسين السابقين، يؤدّي التهاون في أمر الجهاد والقعود عنه إلى عواقب ونتائج غير محمودة، وسوف نقوم في هذا الدرس بالتعرّض لها وبحثها مفصّلاً على ضوء الآيات والروايات، ومن هذه العواقب:

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان 167.

خراب دورُ عبادة الله

مـن التبعات المضرّة لترك الجهاد، زوال دُور التوحيد ومَحَال عبادة الإنسان لله. فقـد حـذّر القرآن المجيد مـن أنّ الناس ما لم يقوموا بتكليفهـم في الدفاع، فسوف تتهدّم دور عبادة الحقّ، وليس فقط دور عبادة المسلمين، بل جميع دور عبادة الأديان التوحيديـة الأخـرى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وبالطبـع، مـن الممكـن أن يكون ذكـر المساجـد والمعابد في الآية قـد ورد على سبيل المثال، وعليه فهي تتعدّاها لتشمل المراكز الثقافية، وتلك المسؤولة عن تقدّم الأفراد والمجتمع ونضجهما.

ومـن هنـا نفهم أنّ المجـال لتطـوّر الناس وتكاملهـم المعنوي والفكـري لا يعود موجوداً في حال إهمال القيام بمسؤولية الدفاع، ويؤول مصير مثل هذه المراكز إلى الفناء والزوال.

الذلّة والمهانة

مـن العواقب الملموسة بشدّة للإعراض عن الجهاد، عاقبة الذلّة والمهانة، والتي تشمـل كلّ أمّة تركت الجهاد في سبيـل الله. فعن رسول الله ﷺ: «**من ترك الجهاد ألبسه الله ذلّاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله تبارك وتعالى أعزّ أمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها**»[2].

(1) سورة الحج، الآية 40.

(2) الشيـخ الصـدوق، محمـد بن علي بن الحسيـن بن موسى بن بابويـه القمي، الأمالي، ط1، قـم المقدّسة، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، 1417هـ.ق، ح906، ص736.

ولذا، بعد أن يشجّع المؤمنين على هذا الحكم الإلهي، نجدُ أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى تبعات التهاون عن القيام به، حيث يقول: «... **فمن تركَهُ رغبةً عنهُ ألبسَهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ، وشمِلَهُ البلاءِ، ودُيِّثَ بالصَّغارِ والقَماءَة**»[1].

فمن المشكلات الكبيرة التي واجهت أمير المؤمنين عليه السلام طوال مدّة حكمه، كانت عدم استعداد الناس لأجل الدفاع عن دين الله. وقد بيّن الإمام علي عليه السلام في العديد من الكلمات والخطب عدم رضاه عن أصحابه وموقفِهم من مسألة الجهاد، موجّهاً انتقاداته لهم، وموضّحاً عواقب الضعف عن القيام بهذا الواجب في السياق.

وفي أحد هذه الموارد، يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ القعود عن الجهاد يؤدّي إلى انتصار العدو وانفلات زمام إدارة المجتمع من يد الحكّام، حيث يقول عليه السلام: «... **فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغاراتُ، ومُلكتْ عليكمُ الأوطان**»[2].

ومن مظاهر هذه الذلّة التي تشملهم أنّهم يعجزون عن أن يكونوا قوّة يُنتقم بها من الباطل، أو يستفاد منها في تحقيق أيّ من أهداف الإسلام، حيث يقول عليه السلام: «**فما يدركُ بكم ثارٌ ولا يُبلغُ بكم مُرام**»[3].

وفي مثل هكذا مجتمع لا يتوقّع حدوث التوفيق والتقدّم، ويوماً بعد يوم يزداد الضعف وتقلّ الاستفادة من المعارف الإلهية، وسيُبتلى هذا المجتمع بسقوط القيم والانحطاط.

وتشهد تجارب التاريخ على أنّ المجتمع الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام يعيش فيه، والذي من ثمَّ تركَ الجهاد، قد عانى من عواقب وخيمة وظلم شديد، إلى الحدّ الذي تسلّط عليه - وخلال مدّة قصيرة - أشخاص كانوا يخنقون أقلّ صوت يرتفع طالباً الحقّ. وبوقاحة تامّة، عمدوا إلى قتل الأئمة عليهم السلام، الذين ارتفعوا شهداء في

(1) نهج البلاغة، الخطبة 27.
(2) (م.ن).
(3) (م.ن)، الخطبة 39.

سبيـل الله، وفقـد كلّ إنسان قـدرة الدفاع عن الحقّ. فهل تتصـوّر ذلّة أكبر من هذه الذلّة، يمكن لها أن تصيبَ مجتمعاً إسلامياً؟

وبالإضافـة إلى التحذيرات المتكرّرة من القعود عن الجهاد، أشار القرآن الكريم فـي أحـد المواطن، وبشكل صريح، إلى عاقبة الذلّة فـي الدنيا عند تركه، حيث ذكر أنّ بنـي إسرائيل قد عوقبـوا بالتيه أربعين سنة على أثر عصيـان هذا الأمر الإلهي: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

وفـي الحديث عـن النبي ﷺ بشـأن الإعراض عـن الجهاد والانشغـال بالدنيا، قال ﷺ: «**لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعِينَة وتركتم الجهادَ في سبيل الله، ليلزمنّكُم الله مذلّـة فـي أعناقكم ثمّ لا تُنزعُ منكم حتـى ترجعوا إلى ما كنتم عليه أو تتوبوا إلى الله**»[2].

ضعف الإيمان

ديـن الله هو عبارة عن مجموعة من الأحـكام والقوانين الإلهية التي تزداد درجة إيمان كلّ فردٍ بمقدارها يعمل بها ويأخذها بقوّة، كما أنّ تلك الدرجة تنقص وتضعف في المقابل بقدر ما يترك العمل بهذه الأحكام ويميل بعيداً عنها.

وبنـاءً على هذا الأسـاس، كل من يترك الجهاد في سبيـل الله، فإيمانه والتزامه العملـي بالدين سيكـون ناقصاً وضعيفاً رسول الله ﷺ بهذا الشـأن: «من لم يَغزُ أو يُحدّث نفسهُ بغزوٍ مات على شُعبةٍ منَ النِّفاق»[3].

(1) سورة المائدة، الآية 26.
(2) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، بيروت، دار صادر، ج2، ص84.
(3) البيهقي،السنن الكبرى، بيروت، دار المعرفة، ج9، ص48.

الحرمان من التكامل المعنوي

يُعـدّ الأشخاص الذين يمتنعون عن أداء هـذه الفريضة الإلهية الكبرى، أشخاصاً قـد فقدوا الفهم الصحيح، وبتعبير أمير المؤمنين عليه السلام: «**فمن تركه رغبة عنه... وضُرب على قلبهِ بالأَسْداد**»[1].

ويكتب الشهيد مطهري قدس سره كلاماً بديعاً في شرح هذا الحديث، فيقول: «إنّها لنكتة فريـدة أن يعتبر عليّ عليه السلام بصيرة القلب ونورانيّته موقوفة على هذا الأمر (الجهاد)، **فقـد ذُكـر في منطق الإسلام صراحة أنّ البصيرة وليدة العمل، ولكن لم يشرْ في أي مكان وبمثل هذه الصراحة إلى أنّ عملاً اجتماعياً كالجهاد هو ركن من أركان التكامل المعنوي والسلوك إلى الله، بحيث إنّ تركه يوجب ظهور الحُجب على القلب**»[2].

الميل نحو الباطل

إنّ الأفـراد الذيـن لا يهبّون لنصـرة الحقّ، ويحترفـون السكـون والحيادية، هم أشخاصـ قـد ابتعدوا عن الحقّ بلا أدنـى شكّ، ومالوا إلى الباطـل. وعلى أثر ذلك، لـم يَعدّ هؤلاء يملتكون لياقة رفع لواء الإسـلام، والدين القويم، وضاعت من أيديهم حكومـة الحقّ، التـي أُودِعَت أمانة عندهـم تماماً، كما قال الإمـام عليّ عليه السلام بهذا الشأن: «**وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد**»[3].

الحرمان من العدالة

سـوف يُحرَم تاركوا الجهـاد من العدالة والإنصاف، وسـوف يتعرّضون للحرمان ولامبالاة مـن قبل الآخرين بسبب قعودهم والإعراض عـن هذا الواجب الإلهي، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «**ومنع النّصفَ**»[4].

(1) نهج البلاغة، الخطبة 27.
(2) قيام وانقلاب مهدي، انتشارات صدرا، ص92.
(3) نهج البلاغة، الخطبة 27.
(4) (م.ن).

وفي سياق شرحه لهذه الجملة من كلام الإمام علي عليه السلام، يقول الشهيد مطهري: «**إنّ المراد من كلامه عليه السلام هو أنّه ما دامت أمّةٌ ما أمّةً غير مجاهدة، لا يَحسِبُ الآخرون لها حساباً، ولا يُبقي لها الآخرون أي كيان، ويتشدّدون في حرمانها من أيّ نوع من أنواع الإنصاف**»[1].

فما ينتج عن ذلك هو أنّ حقوق هذه الأمّة تُداس في المحافل السياسية والاقتصادية والعسكرية والدولية، ولا يعيرون طلباتها وطروحاتها أيّة أهمّيّة.

عذاب الآخرة

إنّ العذابَ الأخروي لتاركي الجهاد يكمن في البعد عن رحمة الله والسقوط في نار جنهم. ولهذا، نجد أنّ القرآن المجيد يهدّد في سورة التوبة أولئك المنافقين الذين امتنعوا عن الذهاب إلى الجبهة بحجّة حرارة الطقس، واعتبروا أنفسهم معذورين أمام الله، نجده يهدّدهم بعذاب جهنم، فيقول تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[2].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[3].

وبالطبع، إنّ لفظ هذه الآية مطلق، ولذا يمكنُ أن يكون شاملاً للعذابات الدنيوية أيضاً، وخصوصاً أنّ الله قد هدّدهم في سياق الآية بالهلاك الدنيوي وباستبدالهم بقوم غيرهم لا يتركون الجهاد.

---

(1) قيام وانقلاب مهدي، ص92-93.
(2) سورة التوبة، الآيتان 81 و82.
(3) سورة التوبة، الآية 39.

المفاهيم الرئيسة:

يـؤدّي التهاون في أمر الجهـاد والقعود عنه إلى عواقب غيـر محمودة، ومن هذه العواقب:

1. خـراب دور عبـادة الله: لقولـه تعالـى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1].
2. الذلّـة والمهانة: «**فمن تركَهُ رغبةً عنهُ ألبسَهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ وشمِلَه البلاءِ ودُيِّثَ بالصَّغارِ والقَماءَة**».
3. نقصان الإيمان: عن رسول الله ﷺ: «**من لم يَغزُ أو يُحدّث نفسهُ بغزوٍ مات على شُعبةٍ منَ النِّفاق**».
4. الحرمـان مـن التكامـل المعنوي: فالأشخاص الذين يمتنعون عـن أداء الجهاد، واقعاً قد فقدوا الفهم الصحيح، وابتُلوا بالضلال وعمى القلب، حيث يقول الإمام علي عليه السلام: «**وضُرب على قلبهِ بالأَسْداد**».
5. الميل إلى الباطل: فعن الإمام عليّ عليه السلام بهذا الشأن: «**وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد**».
6. الحرمان من العدل والإنصاف: حيث ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**ومنع النّصفَ**».
7. عـذاب الآخرة: حيـث يقول تعالـى: ﴿... وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2].

(1) سورة الحج، الآية 40.
(2) سورة التوبة، الآيتان 81 و82.

خراب دور العبادة
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾.
الذلّة والمهانة
رسول الله ﷺ: «من ترك الجهاد ألبسه الله ذلّاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه...».
الإمام علي عليه السلام: «فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغاراتُ، ومُلكت عليكم الأوطان».
فقدان الإيمان
قال رسول الله ﷺ: «من لم يغزُ أو يُحدّث نفسه بغزو مات على شُعبة من النّفاق».
الحرمان من التكامل المعنوي
إنّ بصيرة القلب ونورانيّته موقوفة على عمل اجتماعي وهو الجهاد الذي يُعتبر أيضاً ركناً من أركان التكامل.
قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ ... ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ».
الميل إلى الباطل
قال الإمام علي عليه السلام: «...وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد...».
الحرمان من العدل والإنصاف
قال الإمام علي عليه السلام في معرض حديثه عن آثار ترك الجهاد: «...ومنع النّصفَ...».
عذاب الآخرة
﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾.
﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

6

مقام المجاهدين وأجرهم

مفاهيم محورية:

- المكانة الرفيعة للمجاهدين.
- أجر المجاهدين العظيم.
- مقام الجرحى.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

تمهيد

يتمتّع المجاهدون في سبيل الله بمنزلة فريدة في الرؤية الإسلامية، تُميّزهم عن سائر المؤمنين، حيث بيّنت الآيات والروايات ذلك المقام الفريد والأجر العظيم:

المكانة الرفيعة للمجاهدين

المؤمنون الحقيقيون:

لقد عظّم القرآن المجيد شأن المجاهدين بوصفه إياهم بصفة: «**المؤمنون الحقيقيون**» وهو ما يشير إلى رفعة مقامهم عند الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2].

---

(1) سورة النساء، الآية95.

(2) سورة الأنفال، الآية 74.

أفضلية المجاهدين على غيرهم:

وصرّحت بعض الآيات بأفضلية المجاهدين على القاعدين، وأشارت إلى علو منزلتهم: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

أحباب الله تعالى:

وبيّن القرآن المجيد أنّ المجاهدين الذين يقاتلون صفّاً محكماً في سبيل الله، ينالهم حبّ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2].

وأشار القرآن العزيز أيضاً أنّ من شؤون هؤلاء المجاهدين وخصوصياتهم أنّهم منفّذوا الإرادة الإلهية، حيث يُنزل الله تعالى العذابَ بأعدائه بواسطتهم، فيهلكهم: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

دعاؤهم مستجاب:

وفي حديثٍ أنّ دعاء المجاهدين وحاجاتهم مستجابة عند الله: حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ثلاثة دعوتهم مستجابة أحدهم الغازي في سبيل الله**»[4].

(1) سورة النساء، الآية 95.
(2) سورة الصف، الآية 4.
(3) سورة التوبة، الآية 14.
(4) وسائل الشيعة، ج15، باب 3 من أبواب الجهاد، ح1، ص21.

أهل الجنّة وقوّادها:

كما ويتمتّعُ المجاهدونَ كذلك بمنزلة خاصة في الجنّة، مثلما أشار النبي الأكرم ﷺ إلى أنّ لهم باباً من أبواب النعيم يدخلون منه وحدهم، حيث قال ﷺ: «**للجنّة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم**»[1].

فكما يكون المجاهدون سبّاقين في الدنيا، كذلك يكونون في الدار الآخرة وبيتِ الضيافة الإلهية طلائعَ الداخلين، حيث ورد عن رسول الله ﷺ: «**المجاهدون في سبيل الله قُوّادُ أهل الجنة**»[2].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ: حملة القرآن عرفاء أهل الجنّة والمجاهدون في سبيل الله قوّادها والرّسل سادة أهل الجنّة**»[3].

حسناتهم لا تحصى:

ومن فضل المجاهدين ومنزلتهم عند الله تعالى أنّه حتى الملائكة تعجز عن إحصاء حسناتهم وثوابهم عند الله. فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**كلّ حسنات بني آدم تحصيها الملائكة إلا حسنات المجاهدين فإنّهم يعجزون عن علم ثوابها**»[4].

أهل العبادة المستمرة:

ومن كرامة المجاهدين عند الله عزّ وجلّ أنّه جعل حركاتهم وسكناتهم كلّها عبادة وطاعة في سبيل الله، عن الرسول الأكرم ﷺ قال: «**مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل القائم القانت لا يزال في صومه وصلاته حتى يرجع إلى أهله**»[5].

---

(1) وسائل الشيعة،، ج15، باب 1 من أبواب الجهاد، ح2، ص10.
(2) مستدرك الوسائل، ح12313، ص18.
(3) (م. ن)، ج11، ص 7.
(4) (م. ن)، ص 13
(5) (م. ن).

أجر المجاهدين العظيم

الهداية الخاصة:

يستفيد المجاهدون من هداية خاصة ليس للآخرين من نصيب فيها، وهي جزاء وثواب جهادهم المستمر في سبيل الله حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]. وهذه الهداية الخاصة ميزتها الأساس أنّها تهدي إلى صراط الحقّ وسبيله.

غفران الذنوب:

يُعدّ غفران الذنوب أجراً آخراً يمنّ الله تعالى به على المجاهدين، حيث أكّد سبحانه على ذلك، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾[2].

النعيم الخالد في الآخرة:

لقد تفضّل الله تبارك وتعالى بإعطاء الجنّة للمجاهدين، حيث قال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[3].

وقد عُبّر في بعض الآيات عن أجر المجاهدين الأُخروي بتعبير «**الرزق الحسن**» والمدخل الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾[4].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 69.
(2) سورة آل عمران، الآية 195.
(3) سورة التوبة، الآية 89.
(4) سورة الحج، الآيتان 58 و59.

الرحمة والرضوان الإلهيين:

إنّ إعلان الرضا الإلهي عن عباده المجاهدين لهو بحقّ أعظم النعم على الإطلاق، حيث قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

ومن المناسب الالتفات إلى هذه الملاحظة، وهي أنّ الله تعالى في مقام إعطاء المجاهدين أجورهم، قد شاء أن يعاملهم بفضله، ولهذا فقد وعدهم بقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقد ذُكِرَ في تفسير الشقّ الأخير من الآية ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3] رأيان، كلاهما يكشفان عن أبعاد ما يناله المجاهدون في سبيله:

الأول: أنّ جهاد المجاهدين يعتبر أفضل أعمال حياتهم، وسوف يعطيهم الله ما يليق بهذه الأعمال من أجر.

الثاني: أنّ ما يُعطى للمجاهدين من أجر إلهي هو أفضل وأرفع شأناً من أعمالهم، وسوف يجزيهم الله على أساس أفضل ما أنجزوه وقاموا به.

مقامُ الجرحى

لقد وقع جرحى الجهاد محلّاً للثناء والإجلال في بعضِ الروايات، وذلك بغضّ النظر عمّا ينالونه كمجاهدين من الوصول إلى مقام الجهاد المعنوي الشامخ، وما يتمتّعون به من أجرٍ وثوابٍ.

وإضافة إلى ما ينكشفُ لنا من حقيقة أجر الجرحى في هذه الروايات، يتّضح لنا أيضاً عظمة مقامهم ورفعته:

---

(1) سورة التوبة، الآية 21.

(2) سورة التوبة، الآية 121.

(3) سورة التوبة، الآية 121.

فعن رسول الله ﷺ: «**من جُرِحَ في سبيل الله جاء يوم القيامة ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران، عليه طابع الشهداء، ومن سأل الله الشهادة مخلصاً أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه**»[1].

وعنه ﷺ: «**إنّ جبرائيل أخبرني بأمر قرَّت به عيني وفرح به قلبي. قال: يا محمد من غزا غزوة في سبيل الله من أمّتك فما أصابته قطرة من السماء أو صداع إلاّ كانت له شهادة يوم القيامة**»[2].

ومن البديهي أنّه إذا كان لألم الرأس في ساحة الجهاد مثل هذا الأجر، فالإصابة بالجروح أو تقديم عضو من أعضاء البدن هو حتماً أعظم أجراً وأرفع شأناً.

(1) كنز العمال، ح 11144.
(2) بحار الأنوار، ج97، ص8.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. يتمتّع المجاهدون في سبيل الله بمنزلة فريدة في الرؤية الإسلامية، تميّزهم عن سائر المؤمنين، حيث بيّنت الآيات والروايات ذلك المقام الفريد والأجر العظيم.
2. وصف القرآن الكريم المجاهدين بـ «**المؤمنين الحقيقيين**» وهو ما يشير إلى رفعة مقامهم عند الله تعالى. وصرّحت بعض الآيات بأفضلية المجاهدين.
3. اعتبرت بعض الآيات منزلة المجاهدين أرفع من منزلة سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.
4. بيّن القرآن المجيد أنّ المجاهدين الذين يقاتلون صفّاً محكماً في سبيل الله، ينالهم حبّ الله تعالى.
5. أشار القرآن العزيز أيضاً أنّ من شؤون هؤلاء المجاهدين وخصوصياتهم أنّهم منفّذوا الإرادة الإلهية، حيث يُنزل الله تعالى العذابَ بأعدائه بواسطتهم، فيهلكهم.
6. في حديث أنّ دعاء المجاهدين وحاجاتهم مستجابة عند الله.
7. يتمتّعُ المجاهدونَ كذلك بمنزلة خاصة في الجنّة، بأنّ لهم باباً من أبواب النعيم يدخلون منه وحدهم. وكما يكون المجاهدون سبّاقين في الدنيا، كذلك يكونون في الدار الآخرة وبيتِ الضيافة الإلهية طلائعَ الداخلين.
8. أجر المجاهدين:

- الهداية الخاصة - غفران الذنوب- النعيم الخالد في الآخرة- الرحمة والرضوان الإلهيين.

9. لقد وقع جرحى الجهاد محلاًّ للثناء والإجلال في بعضِ الروايات، وذلك بغضّ النظر عمّا ينالونه كمجاهدين من الوصول إلى مقام الجهاد المعنوي الشامخ، وما يتمتّعون به من أجرٍ وثوابٍ.

المكانة الرفيعة للمجاهدين
المؤمنون الحقيقون
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾
أفضلية المجاهدين
﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
المجاهدون أحباب الله
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾
دعاؤهم مستجاب
قال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة دعوتهم مستجابة أحدهم الغازي في سبيل الله».
حسناتهم لا تُحصى
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل حسنات بني آدم تُحصيها الملائكة إلا حسنات المجاهدين فإنّهم يعجزن عن علم ثوابها».
أهل الجنّة وقوّادها
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المجاهدون في سبيل الله قُوّادُ أهل الجنة».
أهل العبادة المستمرة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل القائم القانت لا يزال في صومه وصلاته حتى يرجع إلى أهله».
أجر المجاهدين العظيم
الهداية الخاصة
﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.
غفران الذنوب
﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾.
نعيم الآخرة
﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾
الرحمة والرضوان
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾
مقام الجرحى
رسول الله صلى الله عليه وآله: «من جُرح في سبيل الله جاء يوم القيامة ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران، عليه طابع الشهداء...».

7

الشهادة ومقام الشهداء

مفاهيم محورية:

- طلّاب الشهادة.
- فضل الشهادة.
- حبّ الشهادة.
- بعض خصال الشهيد.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾[1].

طلّاب الشهادة

لا يخفى أنّ طلب الشّهادة هو مظهرٌ من مظاهر الشجاعة التي يتحلّى بها المجاهد في سبيل الله، لأنّ إقدامه على العمل بالتكليف الشرعي سيكون دون أي خوف أو وجل حتّى من الموت نفسه. وبملاحظة السّبب في الانتصارات التي تحقّقت للمسلمين، نجد أنّ العامل الأساس يكمن في عشقهم للشهادة، وعدم جعل الخوف من المخاطر مانعاً لهم عن الإقدام. فالذي يُقدِم نحو القتال ويضع الشهادة نصب عينيه دائماً لا يخاف من الموت، وبالتالي سيقاتل ويجاهد ببأسٍ شديدٍ زارعاً الخوف والرعب في قلوب أعدائه حتى تحصل فيهم الهزيمة. قال الله تعالى ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ

(1) سورة الحج، الآيتان58 و59.

ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

يقول الإمام الخميني قدس سره: «هذه الأمة هي أمة مجاهدة يتطوّع شبابُها وبكلّ شوق وحماس للذهاب إلى الحرب طلباً للجهاد والشهادة، بل إنّ بعضهم كان يأتي إليّ دامع العينين لأتوسّط له عند المسؤولين ليسمحوا له بالذهاب إلى الجبهات»[2].

ولقد كانت الشهادة وبسبب مقامها الرفيع أمراً يطلبه المعصومون عليهم السلام، فقد ورد أنّ علياً عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد معركة أحد حزيناً حيث لم تكن الشّهادة من نصيبه، وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي: أبشر فإنّ الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إنّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر**»[3].

ولذا يصف الإمام عليه السلام طالبي الشهادة بقوله: «**مَنْ رَائِحٌ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ**»[4].

فضل الشهادة

أفضل البرّ:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فوق كل برٍّ برٌّ حتّى يُقتلَ الرَّجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله عزّ وجل فليس فوقه برّ**»[5]. فالشهادة ترتفع قيمتها وتعلو طالما

(1) سورة المائدة، الآية 54.
(2) صحيفة الإمام الخميني، ج13، ص390.
(3) بحار الأنوار، ج32، ص 241.
(4) (م. ن)، ج33، ص 455.
(5) (م. ن)، ج71، ص69.

أنّهـا تُشـكّل فرصة لقاء الله الذي هو غاية آمال العارفيـن كما في الدعاء عن الإمام السجـاد عليه السلام: «**يَا مَنْ أَنْـوَارُ قُدْسِهِ لِأَبْصَارِ مُحِبِّيهِ رَائِقَـةٌ وَسُبُحَاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عَارِفِيهِ شَائِقَةٌ يَا مُنَى قُلُوبِ الْمُشْتَاقِينَ وَيَا غَايَةُ آمَالِ الْمُحِبِّين**»[6].

وورد عـن أميـر المؤمنين عليه السلام أنّه قال عندما عزم علـى لقاء القوم في صفّين «**اللهـم، إنْ أظهرتنـا على عدوّنا فجنّبنا البغيَ وسدّدنا للحـقّ، وإنْ أظهرتهم علينا فارزقنا الشّهادة واعصمنا من الفتنة**»[7].

كفّارة الذنوب:

مـن نِعَـم الله تعالى على من يُقتـل في سبيله أن يجعل الله عـزّ وجلّ شهادته هذه كفّارة لذنوبه، وتزكية له لما يمكن أن يكون قد اقترفه وهو ما زال مسجّلاً في ديوانه. عـن الإمام جعفر الصـادق عليه السلام أنّه قال: «**مـن قُتل في سبيل الله لـم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته**»[8].

وعـن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**كلُّ ذنب يُكفّره القتل في سبيل الله إلا الدَّين فإنّه لا كفارة له إلا أداؤه أو يقضي صاحبه أو يعفو الذي له الحقّ**»[9].

أشرف الموت:

تختلف طرق الموت، فقد يموت إنسانٌ غرقاً وآخر حتفَ أنفه، لكنّ أشرف الموت هو أنْ يُقتل المرء في سبيل الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أشرف الموت قتل الشهادة**»[10].

(6) الصحيفة السجادية: مناجاة المحبين.
(7) بحار الأنوار، ج32، ص607.
(8) الكافي، ج5، ص45.
(9) بحار الأنوار، ج97، ص10.
(10) (م. ن)، ص8.

أحب الأعمال إلى الله:

وعـن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**ما من قطرة أحبّ إلى الله عزّ وجل من قطرتين قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبدٌ إلا الله عزّ وجلّ**»[1].

حبّ الشهادة

إنّ مـن نِعَـم الله تعالـى الكبـرى، ورحمتـه الواسعـة أن فتـح باب الشهـادة على مصراعيـه أمـام عشّاق الشهـادة والمريدين لها، بشـرط أن يكون طلبهـم ممهوراً بالصـدق والإخلاص ولـو لم يكونوا في ميدان المعركة. فقـد ورد في الحديث: «**من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشّهداء وإن مات على فراشه**»[2].

وهـا هو حامل لواء الحـقّ وراية الهدى، إمام المجاهديـن والشهداء عليّ عليه السلام ينادي قائلاً: «**فوالله إنّي لعلى الحقّ وإنّي للشهادة لمحبّ**»[3].

وفـي موضع آخر يقول عليه السلام: «**فوالله لولا طمعي عنـد لقاء عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي عند ذلك، لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً**»[4].

ولكـن حبّ الشهادة ولقـاء الله دونه عقبة أساس هي حـبّ الدنيا، والانغماس في الشهـوات والملذّات، فكلّما قوي حضور الدنيا وحبّهـا في القلب، ضعفت في المقابل توجّهـات الإنسان المعنوية نحو لقاء الله وحـبّ الشهادة، والعكس صحيح أيضاً حتى لتصبـح لـذّة اللقاء وفرحته لا تدانيها لذّة ولا سعـادة، فيدعو الله تعالى بلهفة وشوق مخلصاً له الدين: «**إلهي حبّب إليّ لقاءك وأحبب لقائي**»[5].

(1) بحار الأنوار، ج100، ص10.
(2) (م.ن) ج67، ص201.
(3) (م. ن)، ج33، ص 573.
(4) شرح نهج البلاغة، ج6، ص93.
(5) بحار الأنوار، ج84، ص249.

فمن الكرامة الإلهية أن يختم المرء حياته بالشهادة، فتكون بمثابة القنطرة التي يعبر من خلالها إلى عالم اللقاء بالمحبوب الحقيقي، ليهتف بنداء إمامه قائلاً: «**فزت وربّ الكعبة**»[1].

وهو الذي كان عليه السلام يقول: «**أيُّها النَّاس إنّ الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس على الموت محيدٌ ولا محيص، من لم يُقتل مات. إنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس عليٍّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش**»[2].

بعض خصال الشّهيد

للشهيد في الإسلام خصال وعطايا اختُصّ بها من بين جميع النَّاس، وقد ورد ذكرها بالنص القرآني والروايات المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام، ومنها:

سبع خصال من الله:

أوّل ما يناله الشهيد وهو في اللحظة الأخيرة من عالم الدنيا واللحظة الأولى للمرحلة التي بعده، قال سيّد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم «**للشَّهيد سبع خصال من الله:**

من أول قطرةٍ من دمه مغفورٌ له كلّ ذنب.

والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة يُكسى من كسوة الجنّة.

والرابعة تبتدره خزنة الجنّة بكلّ ريح طيّبة أيّهم يأخذه معه.

والخامسة أن يرى منزله.

---

(1) بحار الأنوار، ج84، ص2.

(2) (م.ن)، ج32، ص61.

والسادسة يقال لروحه: اسرح في الجنّة حيث شئت.

والسابعة أن ينظر في وجه الله وإنّها لراحة لكلّ نبيٍّ وشهيد»[1].

الشهداء أحياء:

وقد دلّت عليه الآيات القرآنية منها ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2].

ففي هذه الآية الكريمة يُعلّمنا الله سبحانه وتعالى التأدُّب أمام عظمة تلك الدماء، لأنّه في الوقت الذي نجد فيه أنّ الموت حقّ وبالرغم من كونه أمراً طبيعياً لكلّ الناس، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3]، نجد أنّ القرآن الكريم من جهة أخرى يرفض أن نُطلق كلمة (ميّت) على الشهيد لأنّه لم يمت واقعاً. ولأنّ دوره وقضيّته لم ينتهيا بعد، بل هي لا تزال تملأ السماء والأرض: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[4].

أهل البشرى والرزق الإلهي:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى حياة الشهداء، وإلى أنّهم يُرزقون أيضاً، بل وأكثر من ذلك أنّهم مستقرّون ويتنعّمون بجوار ربّهم الكبير المتعال.

---

(1) وسائل الشيعة، ج15، ص16

(2) سورة البقرة، الآية 154.

(3) سورة الزمر، الآية 30.

(4) سورة الأنفال، الآية 44.

(5) سورة آل عمران، الآيات 169 – 171.

وإن كلمة ﴿يُرْزَقُونَ﴾[1] فيها دلالة واضحة على استمرار الرزق في عالم البرزخ بحيث إنّ النعم الإلهية تتوالى على الشهداء في برزخهم. لذا تراهم يستبشرون بإخوانهم الذين كُتبت الشهادة على نواصيهم وهم لم يلحقوا بهم بعد، وهذا تأكيد على حياتهم عند ربّهم أيضاً، مع ما يستلزمه الرزق من التكامل والاستزادة، فرحين لمرافقة الأنبياء والصدّيقين والأولياء، وهذا ما يكشف عن علوّ درجتهم ومنزلتهم عند الله.

وقد أشار إمامنا الخميني قدس سره إلى هذا الأمر بشكل واضح في كلماته حيث يقول في بعضها: «ما الذي بوسع إنسان قاصر مثلي أن يقول عن الشهداء الأعزّاء الذين قال الله تعالى في شأنهم تلك الكلمة العظيمة: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2] وهل يمكن بالقلم والبيان والكلام التعبير عن الالتحاق بالله واستضافة مقام الربوبية للشهداء؟ أليس هذا مقام: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾[3] الذي رأى الحديث الشريف مصداقه في سيّد الشهداء والمظلومين؟ وهل هذه الجنّة هي التي يدخلها المؤمنون أم لطيفتها الإلهية؟ هل الالتحاق والارتزاق عند ربّ الأرباب هو هذا المعنى البشري، أم أنّه رمز إلهي أسمى وفوق تصوّر البشر الترابي؟»[4].

ويقول قدس سره أيضاً: «**والشهداء: أحياء عند ربّهم يرزقون، وقد نالوا الآن عند الله تبارك وتعالى رزقاً خالداً وروحا خالدة، وما كان من الله فقد قدّموه وسلّموا ما كان لديهم من الروح، وقد قبله الله تبارك وتعالى ويقبله. نحن الذين تخلّفنا، فنحن الذين يجب أن نتأسّف لأنّنا لم نستطع أن نسلك هذا الطريق، فقد كانوا هم السبّاقين في هذا المجال وذهبوا ونالوا سعادتهم وتأخّرنا عنهم ولم نستطع**

(1) سورة آل عمران، الآيات 169.
(2) سورة آل عمران، الآيات 169.
(3) سورة الفجر، الآيتان 29 و30.
(4) صحيفة الإمام الخميني، ج17، ص116.

اللحاق بهذه القافلة والسير في هذا الطريق. إنّنا جميعاً لله، كلّ العالم لله، العالم من تجلّيات الله، والى الله يرجع كلّ العالم»[1].

الأمن من عذاب القبر:

ففي الأخبار عمّا يناله الشهيد من نِعَم وثواب، ما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**للشهيد عند الله ستّ خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنّة، ويحلّى حلّة الإيمان، ويُزوّج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفّع في سبعين من أهل بيته**»[2].

الشفاعة:

فعن النبي ﷺ: «**... ويشفعُ الرجلُ منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرته، حتى أنَّ الجارين يختصمان أيّهما أقرب**»[3].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يشفعون إلى الله فيُشفّعهم: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»[4].

مرافقة الأنبياء والصدّيقين والصالحين:

وهو قول الله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[5].

(1) صحيفة الإمام الخميني،ج14، ص202.
(2) كنز العمال، ج4، ص 45.
(3) بحار الأنوار، ج97، ص14.
(4) مستدرك الوسائل،ج11،ص 20.
(5) سورة النساء، الآية 69.

ثلاث مواهب سنيّة:

يقــول الله سبحانه وتعالــى في سياق بيانــه لمقام الشهيــد: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[1]. فالآيــة الشريفة تذكر ثلاثة مواهب خصّ الله تعالى بها الشهداء وهي:

1 - أنّه تعالى سيهديهم إلى منازل السعادة والكرامة، والكمالات الإنسانية، والمقامات السامية، والفوز العظيم، ورضوانه.

2 - وأنّــه سيصلح حالهــم بالمغفرة والعفو فيصلحون لدخــول الجنّة، ويُحييهم حياةً يصلحون بها للحضور عند ربّهم بانكشاف الغطاء، ويهبهم هدوء الروح، واطمئنان الخاطر، والنشاط المعنوي والروحي.

3 - وسيُدخلهــم الجنّة التي وعدهم بها وادّخرها لهم، والتي سبق وأن عرّفها لهم إمّا في الدنيا عن طريق الوحي والنبوّة، وإمّا بالبشرى عند القبض.

(1) سورة محمّد، الآيات 4 – 6.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. الشجاعة مظهر من مظاهر عشق الإنسان وحبّه للشهادة، والتي من خلالها تحقّقت انتصارات المسلمين.
2. لأنّ الشهادة من المقامات العالية التي اختصّ الله بها أولياءه وأحبّاءه، لذا فالشهادة منى قلوب المشتاقين وغاية آمال المحبّين.
3. الشهادة كفّارة للذنوب والمعاصي، فعند أوّل قطرة دم تسيل يغفر الله تعالى للشهيد جميع ما بقي عليه إلا حقّ الدَّين.
4. كرّم الله الشهيد في الجنّة تكريماً خاصّاً لا يحظى به إلا الأنبياء والأولياء.
5. من خصائص الشهيد أنّه عند استشهاده يبقى حيّاً عند الله تعالى.
6. من خصائص الشهيد أن رزقه لا ينقطع بعد الانتقال إلى عالم البرزخ بعكس الأموات، بل يمنحه الله تعالى فرصة الارتزاق والاستزادة، مستبشراً بالذين لم يلحقوا به بعد.

طلّاب الشهادة
﴿...يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.
فضل الشهادة
الشهادة أشرف الموت
قال رسول الله ﷺ: «أشرف الموت قتل الشهادة».
البرّ هو الشهادة
قال رسول الله ﷺ: «فوق كلّ برٍّ برٌّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله عزّ وجلّ فليس فوقه برّ».
أحبّ قطرة لله
الإمام السجاد عليه السلام: «ما من قطرة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قطرتين قطرة دمٍ في سبيل الله...».
كفارة الذنوب
الإمام الصادق عليه السلام: «من قُتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته».
حب الشهادة
الإمام علي عليه السلام وحبّ الشهادة: قال الإمام علي عليه السلام: «فوالله إنّي لعلى الحقّ وإنّي للشهادة لمحبّ».
خصال الشهيد
قال رسول الله ﷺ للشهيد سبع خصال من الله: «الأولى من أول قطرة من دمه مغفور له....».
قال رسول الله ﷺ: «...ويجار من عذاب القبر...».
قال رسول الله ﷺ: «ويشفعُ الرجلُ منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرته...».
﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾

8

الشهادة عزٌّ الدنيا والآخرة

مفاهيم محورية:

- الشهادة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- طريق الشهادة.
- تمني الموت في سبيل الله.
- عدم الإنشغال بالدنيا.
- خلوص النية.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

الشهادة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

لقد منّ الله علينا ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام بأن شرّع لنا باب القتل في سبيل الله، وجعل سياحة أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجهاد الذي تشكّل الشهادة ثمرته الناضجة كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**سياحة أمّتي ورهبانيّتهم الجهاد**»[2].

فأضحى باب الوصال والقرب الإلهي مفتوحاً على مصراعيه أمام المريدين، ولم يعد تهذيب النفس والتخلّص من الأنانية وحبّ الدنيا وغيرها من الحجب المانعة من نيل الفيض الإلهي، والتحقّق بالكمال الإنساني موقوفاً على ذلك السفر الشاقّ والطويل والمجاهدات العظيمة والسنوات العديدة.

---

(1) سورة النساء، الآية 74.

(2) مستدرك الوسائل،ج16، ص53.

لـم يعـد الإنسان يحتاج إلى خمسـ وعشرين سنة من عمـره ليتخلّص من الرياء أو إلـى ثمانيـن سنة ليقول بعدها: الآن زال حبّ الدنيا مـن قلبي، أو أن يعتزل الناس والمجتمع داخل صومعته ليبلغ الكمال وما هو ببالغه!

لقـد علّمنـا رسول الله ﷺ أنّ أمّتـه لا تحتاج إلى زمان مديد ومـكان بعيد لتنال القـرب الإلهي، فها هـو قد اختصر بثـلاث وعشرين سنة من عمـره الشريف دعوة جميـع الأنبياء والمرسلين، بل وبلغ ما لم يبلغـه أحد ممّن سبقه منهم، فصار الدين عنـد الله الإسـلام. وهـا هو حفيـده الإمـام الحسيـن عليه السلام الذي قال فيـه رسول الله ﷺ: «**حسيـن منّـي وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسيناً**»[1] يختصر تلك العشريـن والنيّـف من السنوات بعشـرة أيام، بل بيوم واحد، لا بـل بعدّة ساعات من نهار فيحيي إسلام جدّه ﷺ من جديد ويجسّد في تلك الواقعة دين محمد ﷺ بكلّ مـا فيه، فيصير الاستشهاد في سبيل الله شرفاً يُحقّق مراد الصالحين: «**إن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة**»[2].

ومـع شهـادة الإمـام الحسين عليه السلام صـارت كربلاء هـي المكان أبـداً وصارت عاشـوراء هي الزمـان دوماً وأضحت خطى أبي عبـد الله عليه السلام منهاج الحياة «**إني لا أرى المـوت إلّا سعـادة والحيـاة مـع الظالميـن إلا برمـاً**»[3]، من هنـا كان: «**كلّ يـوم عاشـوراء وكل أرض كربلاء**»، وهـو أيضا ما أكّده حفيد الأئمـة الأطهار الإمام الخميني قدس سره قولاً وعملاً: «**إن كلّ ما لدينا من الإمام الحسين وثورة عاشوراء**»[4].

(1) بحار الأنوار، ج43، ص261.
(2) (م.ن)، ج44، ص328.
(3) (م.ن)، ص192.
(4) وعشقوا الشهادة، ص9.

طريق الشهادة

الشهادة هي غاية آمال العارفين ومطلوب المجاهدين وهي إحدى الحسنيين التي يشتاق إليها الصالحون ويدعون ربّهم لنيلها في ليلهم ونهارهم كما في الدعاء «وَقَتْلًا فِي سَبِيلِكَ مَعَ وَلِيِّكَ فَوَفِّقْ لَنَا»[1]. غير أنّ الشهادة مقام لا ينال بالتمنّي والدعاء فقط، إنّ الشهادة هي منهج حياة وسلوك عملي، إنّها عزم وطاعة وهجرة وجهاد، إنّها تزكية نفس وتقوى وإخلاص.

إنّ نيل مقام الشهادة والقتل في سبيل الله حقّاً له شروط ومقدّمات وهو ثمرة مراحل يعبرها المسافر إلى الله في هذه الدنيا ونشير إجمالاً إلى بعض هذه الشروط:

تمنّي الموت في سبيل الله:

يعتبر القرآن الكريم أن تمنّي الموت هو دليل على المحبّة والولاية لله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]. وأولياء الله هم المشتاقون دوماً لرؤيته والكادحون للقائه، الذين صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، الذين «**لولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثّواب وخوفاً من العقاب**»[3] كما يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام. فأولياء الله أدركوا حقيقة هذه الدنيا وأنّها دار الفراق والهجران، وعالم التصرّم والزوال. واستيقنوا هذه الحقيقة بعدما ذاقوا حلاوة القرب الإلهي واطّلعوا على عوالم الغيب والبقاء، فصارت الآخرة مطلوبهم لا طمعاً في الجنّات والنعيم بل لأنّ الجنّة هي ساحة لقاء الحبيب، ولأنّ المحبّ يرضى ما يرضاه حبيبه، ويستعينون على ذلك بالصبر

(1) بحار الأنوار، ج95، ص117.
(2) سورة الجمعة، الآية 6.
(3) بحار الأنوار،ج64، ص315.

والجهـاد المستمـرّ في هذا السجـن، لأنّ المحبوب قد كتب لهم أجـلاً محدّداً ولولاه لكانت أرواحهم الهائمة بحبّ بارئها قد عرجت إليه بلمح البصر.

عدم الانشغال بالدنيا:

يسـأل الله سبحانـه تعالى عبـاده مستنكـراً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]! لأن حياتكم الحقيقيـة ليست هنـا، بل شأنكم أعظم من هذه الدنيـا وما فيها، بل: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

وحدهـم أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيـا بالآخرة وباعوا أرواحهم وأجسادهم لله ولـم يرضوا بهذا العرض الأدنى قد تنبّهوا لتحذير الحـقّ تعالى، فكان منطقهم ولسـان حالهم ورسالتهم إلى قومهـم على الدوام: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[3]، وإلـى أعـداء الله وأعدائهـم لسانهم أبداً: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾[4].

فأهل الآخرة والسائرون على درب الشهادة يعيشون لله في كلّ آن من آناء أيّامهم ولياليهم، والدنيا عندهم بكلّ ما فيها لا تساوي عندهم شيئاً، بل كلّ ما يهمّهم هو رضا الله تعالـى والعمل وفق إرادته. لذا فهم منذ نهوضهم وحتى نومهم متفرّغون لخدمة دينـه تعالى وخدمة عياله. همّهم دائماً في كيفيّـة أداء التكليف بأفضل صورة وأكمل

(1) سورة التوبة، الآية 38.
(2) سورة الحديد، الآية 20.
(3) سورة غافر، الآية 39.
(4) سورة طه، الآية 72.

وجه وأخلص نيّة، وهم لا يرتبطون بالدنيا إلا على هذا الأساس. فالدنيا عندهم هي المكان الذي من خلاله ينشرون دين الله، ويدعون الناس إلى الهداية والصلاح فيها، وهي المكان الذي يخدمون فيه عباد الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحاربون الباطل. الدنيا عندهم ميدان لإعلاء كلمة الله وجعلها هي العليا، ميدان لقتال أعداء الدين والإنسانية، قطّاع طريق الهداية وسبيل الله، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، فهذا هو سبيلهم إلى الله ومنها زادهم إلى جنّات اللقاء والنعيم المقيم.

وعليه من أراد أن يسلك درب الشهداء ويتّبع سبيلهم فما عليه إلا أن يُصحّح علاقته بالدنيا ونظرته إليها وأن يقلع عن طلب الدنيا وحبّها وبالتالي تعلّقه القلبي بها لأن الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ﴾[2] فإمّا أن يتعلّق قلبه بالدنيا ويتوجّه إليها وإمّا أن يتعلّق قلبه بالله. ولا يمكن أن يجتمع حبّ الله ولقائه مع حبّ الدنيا. بل عليه أن يقلع حبّ الدنيا من قلبه وذلك من خلال عدم الاشتغال بها، فالاشتغال بأمور الدنيا يؤدّي إلى تقوية الطلب والتعلّق ويعطي إبليس المنافذ الكثيرة التي يمكن أن يتسلّل عبرها من حيث لا ندري أو نشعر فنقع في حبائله.

لذلك أهل الله لا شغل لهم بالدنيا، وهم إذا عملوا فيها فلأنّ ذلك مقتضى تكليفهم وواجبهم الشرعي لا أكثر. حتى إذا استدعاهم خالقهم لنصرة دينه والقتل في سبيله تسابقوا لتلبية النداء وكانوا خير الملبّين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[3]. وإذا ما فتحت أبواب السماء ولاحت بشرى الآخرة ودعتهم إليها تركوا كلّ ما يملكون وأسرعوا إلى لقاء المحبوب الأوحد الذي انتظروه كلّ حياتهم.

(1) سورة يوسف، الآية 108.
(2) سورة الأحزاب، الآية 4.
(3) سورة المؤمنون، الآية 61.

خلوص النيّة:

تكتسب الشهادة معانيها العالية وقدسيّتها من الغاية التي يُقتل الإنسان المجاهد لأجلها؛ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وهذا ما يعبّر عنه بلغة الدين بـ «النيّة»، التي هي في الواقع سبب قبول الأعمال وشرافتها وقيمتها كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنّيّات ولكلّ امرئ ما نوى**»[2]. هذه النيّة إذا كانت لله خالصة من هوى النفس والتعلّقات الدنيوية، فإنّها تجعل العمل مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى لأنّه تعالى لم يأمر إلا بالإخلاص: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[3] كما أسلفنا سابقاً.

فالمنزل الأوّل والمقدّمة الأساس لطلب الشهادة هي تطهير النيّة وصبغها بالصبغة الإلهية. وهذا يتطلّب الصدق والمراقبة الجادّة بشكل دائم ومستمر، لأنّ الإبقاء على العمل حتى يخلص أشدّ صعوبة من القيام به كما فيه الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الإبقاء على العمل حتّى يَخلُص أشدّ من العمل**»[4]. فإذا صفّى المجاهد نيّته من غير الله تعالى فإنّ باب التوفيق للشهادة سوف يغدو مشرّعاً، عندها سوف تهون عليه كلّ الصعاب والمصائب، وتصير البلاءات عنده نعماً وآلاءً إلهية طالما أنّها ستقوده إلى أمله ومناه إلى لقاء الله تعالى. وسيصبح الجهاد الذي هو كره للناس حلواً وعذباً عنده، والقتل والشهادة غايته إذ فيها لقاء المحبوب الأوحد الذي لا محبوب عنده سواه ولا مطلوب غيره، فتصبح ترنيمة عشقه كما هو لسان حال أبي عبد الله الحسين عليه السلام:

إلهي تركت الخلق طراً في هواك ... وأيتمت العيال لكي أراك

فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواك.

(1) سورة البقرة، الآية 154.
(2) بحار الأنوار، ج67، ص212.
(3) سورة البينة، الآية 5.
(4) الكافي،ج2، ص16.

تذكّر الشهداء وزيارتهم:

لا معنى لأن يحتذي المرء حذو إنسان ما بهدف التأسّي به دون استذكاره واستحضار اسمه وأعماله ومنجزاته. والأمر بعينه ينطبق على من يسعى إلى الاقتداء بالشهداء والسير على منهاجهم. فالذكر الدائم للشهداء من خلال زياراتهم، والسَّلام عليهم، وتذكّر تضحياتهم وتفانيهم وصبرهم واحتسابهم، يترك بالغ الأثر في النفوس، فيحملها طوعاً على اتّباع طريقتهم المثلى.

فالروايات الشريفة عندنا بالإضافة لما ذكرته من فضل الشّهادة وقدسيّتها، فقد ذكرت أيضاً بعض الأدعية والزيارات الخاصة بالشّهداء، والمروية عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجميعين. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة العبّاس بن عليّ عليه السلام قوله: «**سلام الله وملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين...عليك يا ابن أمير المؤمنين...أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء...أشهد أنّك قُتلت مظلوماً وأنّ الله منجز لكم ما وعدكم... وأشهد أنّك مضيت إلى ما مضى به البدريّون والمجاهدون في سبيل الله...أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود...(ثم يقول سلام الله عليه) فبعثك الله في الشهداء وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً**»[1]. وما كان ليصل الشهداء إلى هذه المنزلة الرفيعة لولا صبرهم وبصيرتهم كما يقول الإمام عليه السلام في بقية الزيارة: «**وأشهد أنّك لم تهن ولم تنكل، وأنّك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين**»[2].

ونقرأ في زيارة الإمام الصادق عليه السلام للشهداء أيضاً: «**السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّائه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه، السلام عليكم يا أنصار دين**

(1) مفاتيح الجنان، زيارة العباس بن علي عليه السلام.
(2) (م.ن)، زيارة مسلم بن عقيل.

الله وأنصار نبيّه وأنصار أمير المؤمنين عليه السلام وأنصار فاطمة سيّدة نساء العالمين»[1]. وهكذا يرتقي الشهيد ليفوز الفوز العظيم، وليكون مدرسة للمريدين والتائقين إلى لقاء الله ومجاورة الأنبياء والصدّيقين.

التآسّي بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه:

إنّ للقدوة والأسوة الحسنة في الحياة الأثر البالغ والعميق في تحديد الوجهة والخيارات التي ينبغي أن يتّخذها الإنسان لنفسه ويعمل عليها، خصوصاً إذا كانت هذه الخيارات مصيريّة ومفصليّة في الحياة وعليها يتأسّس بنيان الإنسان. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]. فالأمر الإلهي واضح وصريح بضرورة التأسّي بفكر ونهج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمن كان يرجو لقاء الله واليوم الآخر. هذا الفكر الذي عماده توحيد الله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا أيها النّاس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[3]، ونهجه الجهاد والتضحية في سبيل الله: «**سياحة أمّتي الجهاد**»[4]. هذا الفكر والنهج الذي تجسّد بأجلى صوره وأسمى آياته في بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال صلى الله عليه وآله وسلم بشأنه «**أنا من حسين وحسين منّي**»[5]. حيث كان سلام الله عليه مجمعاً للتوحيد والجهاد والذي ظهر بشكله العملي في كربلاء ليرسم معالم الطريق لسالكي درب الشهود والحضور في محضر الله تعالى، درب اللقاء بالمحبوب الأوحد الذي إليه تهفو قلوب الصادقين، وأفئدة المريدين. فغدت كربلاء مدرسة ينهل من معينها كلّ تائق للقاء الله والخلاص من أسر هذا السجن الفاني والجسد البالي، وبالتالي صار الترجمان العملي والتطبيق الواقعي لرسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم متجسّداً في الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء.

(1) مفاتيح الجنان، زيارة الحسين في يوم عرفة.
(2) سورة الأحزاب، الآية 21.
(3) بحار الأنوار، ج18، ص202.
(4) مستدرك الوسائل، ج11، ص14.
(5) بحار الأنوار، ج43، ص296.

فعندما نُدقّق في كلّ موقف من مواقف كربلاء، وفي كلّ مشهد من مشاهدها، وفي كلّ حادثة من حوادثها نجد أنّ ما يجمعها جميعاً هو الحبّ الخالص لله ولوليه الممزوج بفرحة لقاء الله. هذا الحبّ الذي حوّل الموت عند الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه إلى سعادة لا تضاهيها سعادة «**إني لا أرى الموت إلا سعادة**»[1]، حتى غدا الموت عندهم أحلى من العسل، كما كان حال أصغرهم؛ القاسم بن الحسن عليه السلام عندما سأل إمامه مستفهماً: «**وأنا فيمن أقتل؟ فأشفق عليه الإمام عليه السلام وقال له: يا بني كيف الموت عندك؟ فقال القاسم بن الحسن: يا عمّ أحلى من العسل!**»[2].

وعندما أذن الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه بالانطلاق وجعلهم جميعاً في حلّ من أمرهم، وأن ليس عليهم أدنى حرج منه ولا ذمام طالما أنّ الأعداء لا يطلبون غيره، كيف كان ردّ فعلهم؟! وبماذا أجابوا إمامهم؟! وبأيّ حال توجّهوا إليه سلام الله عليهم أجمعين؟!

ينتفض مسلم بن عوسجة من مكانه بعد سماع كلام إمامه ويقول: «**والله لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أُحيى ثم أُحرق ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق ثمّ أُذرى يُفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي من دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً. ثمّ قام زهير بن القين رحمه الله وقال: والله لودّدت أنّي قُتلت ثمّ نُشرت ثمّ قُتلت حتّى أُقتل هكذا ألف مرّة وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك لفعلت**»[3].

فأيّ روح هي هذه التي كانت تسكن جنبات هؤلاء النجباء والأصفياء الذين عندما بشّرهم إمامهم بالموت والقتل حمدوا الله وشكروه على هذه الكرامة والمنزلة!!

(1) بحار الأنوار، ج44، ص19.
(2) السيد هاشم البحراني، مدينة العاجز، ج4، ص215.
(3) بحار الأنوار، ج44، ص392.

إنهـا باختصار روحية الاستشهـاد وتمنّي الموت التي يقول البـاري عزّ وجلّ بشأنها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]، فغـدوا بحقّ أولياء لله واستحقّـوا قول إمامهم فيهم ومدحهم لهم: «**اللهم إنّي لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي**»[2].

وهـذا درس مهمّ لمـن يريد السيـر على هدي هـؤلاء الأصحاب الأوفيـاء الذين وبعـد أن وجد سـلام الله عليه فيهم العـزم على ملاقاة الحتـوف والرضا بالمقدور قـام عليه السلام وبشّرهـم: «**إنّكم تقتلون غداً كلّكم ولا يفلت منكم رجل، قالوا الحمد لله الـذي شرّفنا بالقتل معك، ثـمّ دعا فقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا فجعلوا ينظـرون إلـى مواضعهم ومنازلهم من الجنّة وهو يقـول لهم هذا منزلك يا فلان فـكان الرّجـل يستقبـل الرّمّـاح والسّيـوف بصدره ووجهـه ليصل إلـى منزلته من الجنّـة**»[3]. هـو درس لنا جميعاً عنوانه أنّ مـن أراد الفوز في الدنيا والآخرة ما عليه إلا تحصيل روحيـة الاستشهاد، وعماد هذه الروحية هو تمنّي الموت: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4]، الموت الذي تعقبه الحياة الحقيقية، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعـي لأنّ الشهيد بشهادته سوف يحيا بالحياة الحقيقية، وسوف يُحيي أمّته ومجتمعه ويبثّ فيهما روح الأمل من جديد.

فكربلاء هي مدرسة لتعليم الشهداء وتخريج الشهداء، وقد أراد أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام من خلالها فتح باب الشهادة على مصراعيه ليغدو كلّ يوم من أيّام الموالين لخطّ أهل البيت عليهم السلام عاشوراء، وكل أرض تقلّهم كربلاء. فطالما أنّ أمر

(1) سورة الجمعة، الآية 6.
(2) الأمالي، ص 220.
(3) بحار الأنوار، ج44، ص298.
(4) سورة الجمعة، الآية 6.

هذا الدين لن يستقيم إلا بالاندفاع نحو الموت والشهادة كما يندفع المرء للقاء أحبّته دون تـردّد أو وجَـلٍ فمرحىً به «**إن كان ديـن محمد لم يستقـم إلا بقتلي فيا سيوف خذينـي**»[1]، لأنّ أعداء الديـن والإنسانية كان سلاحهم على الـدوام تخويف الناس بالموت وحرمانهم من نعمة الحياة الغالية على قلوبهم، وما من سلاح فتّاك يمكن أن يواجه تثبيط الأعداء وتخويفهم إلا سلاح الشهادة وحبّ الموت في سبيل الله.

فمن كان يرغب بالانتساب إلى هذه المدرسة الحسينية والتزوّد من علومها، عليه الجلوس علـى مقاعدها متعلّماً ومتأسّياً وعاملاً لعلّه يوفّـق في نهاية المطاف ليكون فـي ركب من أنعم الله عليهـم ووفّقهم لتلبية نداء حجّة الله فـي الأرض عجل الله فرجه الشريف بصدق ووفـاء، هذا النداء الـذي صدح في كربلاء وما يزال يصدح في كلّ زمان ومكان «**هل مـن ناصـر ينصرنـا**»، هـذا النداء الذي ما زال غضّـاً طريّاً في هـذا العصر أيضاً، وبـاب التلبية فيـه مفتوح لمن حاز على روحية الشهادة حتى استحوذت على كلّ كيانه ووجوده...

(1) السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج3، ص303.

المفاهيم الرئيسة:

1. مـنّ الله علينـا ببركة رسـول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام بأن شـرّع لنا باب القتل في سبيل الله.
2. الشهـادة في حقيقتها تُشكّل ثمرة الجهـاد الناضجة والتي يبحث عنها المجاهد ويطلبها حثيثاً.
3. مع شهادة الإمام الحسين عليه السلام صارت كربلاء هي المكان أبداً وصارت عاشوراء هي الزمان دوماً.
4. إنّ نيل مقام الشهادة والقتل في سبيل الله له شروط ومقدّمات لا بد من تحقّقها.
5. يعتبـر القـرآن الكريم أن تمنّي الموت هو دليل علـى المحبّة والولاية لله سبحانه وتعالى وهو شرط الشهادة الأول.
6. مـن أراد أن يسلـك درب الشهداء ويتّبع سبيلهم عليـه أن يُصحّح علاقته بالدنيا ونظرته إليها وأن يقلع عن طلبها وحبّها.
7. المنـزل الأوّل والمقدّمة الأساس لطلب الشهادة يكمـن في تطهير النيّة وصبغها بالصبغة الإلهية.
8. مـن أراد الفوز في الدنيا والآخرة مـا عليه إلا تحصيل روحية الاستشهاد، وعماد هذه الروحية هو التأسّي بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه النجباء.

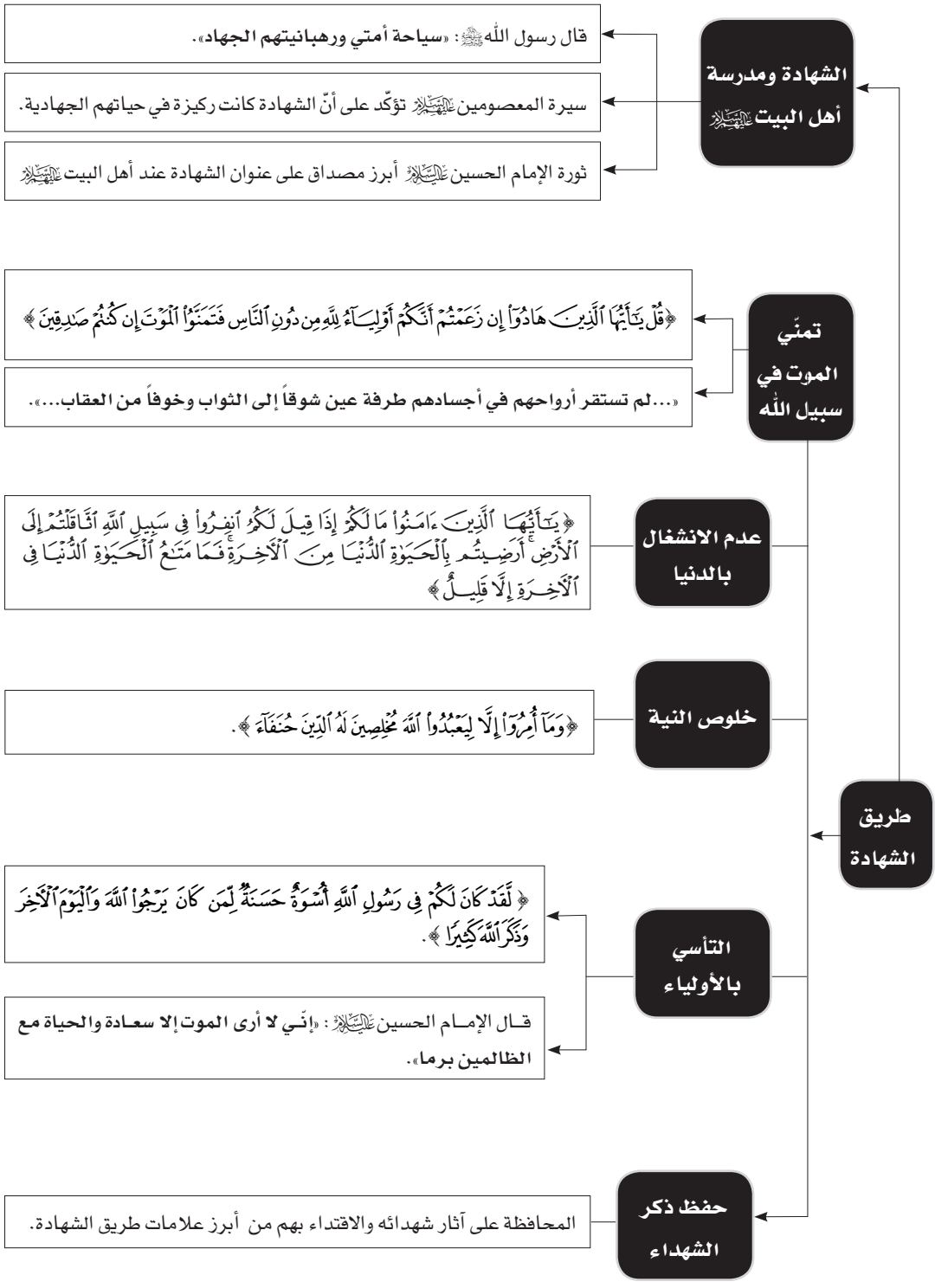
طريق الشهادة
الشهادة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد».
سيرة المعصومين عليهم السلام تؤكّد على أنّ الشهادة كانت ركيزة في حياتهم الجهادية.
ثورة الإمام الحسين عليه السلام أبرز مصداق على عنوان الشهادة عند أهل البيت عليهم السلام
تمنّي الموت في سبيل الله
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾
«...لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب...».
عدم الانشغال بالدنيا
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾
خلوص النية
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.
التأسي بالأولياء
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.
قال الإمام الحسين عليه السلام: «إنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين برما».
حفظ ذكر الشهداء
المحافظة على آثار شهدائه والاقتداء بهم من أبرز علامات طريق الشهادة.

9

الجهوزية الدائمة في الحرب

مفاهيم محورية:

- وجوب إعداد عناصر القوّة.
- أهم عناصر القوّة.
- هدفنا من الجهوزية القتالية.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

مقدّمة

إنّ عقل الإنسان يحكم كما فطرته وغريزته بضرورة توفير الاستعداد الكافي للدفاع في أيام الصلح والسلم؛ وذلك لأجل التمكّن من الوقوف في وجه العدو إن هو قام فجأة بهجوم خاطف وسريع.

وقد دلّت التجارب على أنّ الشعوب اليقظة والمستعدّة تمكّنت على الدوام من صدّ الحملات المفاجئة للعدو، وحفظت بقاءها واستمرار وجودها. وعلى العكس من ذلك، فإنّ الشعوب التي كانت تعيش الغفلة واللامبالاة، كانت تسقط دائماً ضحيّة لغفلتها وتتعرّض للهزيمة.

والإسلام يأمر أتباعه أن يُعدّوا ما استطاعوا من قوّة لأجل الدفاع عن أنفسهم، وذلك قبل وقوع الحرب وظهور الحاجة إلى الدفاع، بل أكثر من ذلك فإنّه يأمرهم أن لا يسمحوا للعدو حتى بمجرّد التفكير بالهجوم على بلاد المسلمين. فإن هو شنّ

(1) سورة الأنفال، الآية 60.

هجومه على الرغم من قوّة المسلمين وشوكتهم، يكونون حينئذٍ قادرين من خلال هذا الاستعداد المسبق على مواجهته وردعه بسهولة. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾[1].

وجوب إعداد عناصر القوّة

إنّ أصرح آية على الإطلاق تأمر بوجوب التجهّز والاستعداد، هي قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾[2].

فهذه الآية هي في الحقيقة تحذير بليغ لكلّ المجتمعات الإسلامية من أن يغفلوا عن الأعداء المعروفين وغير المعروفين، ومن أن يتركوا التفكير في مواجهة العدو، لأنّنا إن غفلنا فالعدو لن يدعنا وشأننا، وسيتحيّن الفرص للهجوم على البلاد الإسلامية. ولهذا نَجدُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول حول هذا الأمر: «**من نامَ لم يُنم عنه**»[3].

أهم عناصر القوة

لوجوب الإعداد والتجهّز للقتال الكثير من الموارد منها:

تعلّم فنون القتال والسلاح:

فيجب على كلٍّ من الدولة الإسلامية والشعب المسلم أن يعدّوا أنفسهم بتهيئة كلّ الإمكانات اللازمة لتعليم فنون الحرب المختلفة، كما أنّ عليها أيضاً مسؤولية تأمين السلاح الخفيف والثقيل بكافة أنواعه والعتاد الحربي.

(1) سورة النساء، الآية 71.
(2) سورة الأنفال، الآية 60.
(3) نهج البلاغة، الخطبة 62.

ومـن جانب آخر، يجب على الشعـب تعلّم الفنون القتالية التـي يُحتاج إليها، وأن يُشكِّلـوا كتائب تعبوية عسكرية مستعدّة للمواجهة دائماً. ولعلّ في هذا ما يُفسِّر سبب توجيـه الخطاب لعامّة الناس في آيـة الإعداد، خلافاً للآيات السابقة واللاحقة التي وجّهت الخطاب إلى شخص النبي ﷺ.

فهـذه الآية تريد أن تُشير إلى أنّ هذا الأمـر الإلهي بضرورة الإعداد شامل لآحاد المسلمين تماماً، كما يشمل الحكومة الإسلامية والعاملين عليها؛ ولذا، يجب على كلٍّ منهـم أن يَجِدَّ في تنفيذ هذا التكليف الإلهي بقـدر استطاعته، وأن يُعدّ كلّ ما يمكنه من أسباب القوّة.

ولأجـل تحقّـق وجود هذه القـوّة والجهوزية عملياً، كان النبـيُّ الأكرمُ ﷺ يشجّع المسلميـن علـى إقامة مسابقـات الرماية وسبـاق الخيل، كمـا كان يرافقهم بنفسه لمشاهدتهـا، وأحيانـاً كان يُشارك شخصياً فيها[1]. وقـد أولى ﷺ استمرارية هذا التعليـم لفنـون القتال عناية خاصة، حيـث كان يطلب من أصحابـه أن لا يغفلوا عن ذلك، كما ورد عنه ﷺ: «**من تعلّم الرمي ثمّ تركه فقد عصاني**»[2].

تنويع مصادر القوّة:

وقـد استخدمت الآية في بيانها لمعنى الجهوزية المطلوبة، مفردتين اثنتين هما: «**القوة**» و «**رباط الخيل**».

والمقصـود مـن «**القـوة**» هـو كلّ شـيء يـؤدّي إلى تقويـة المجاهديـن في كامل تخصّصاتهـم سـواء على الصعيد المـادي أم المعنوي. ولأنّ هـذا التعبير هو تعبير مطلـق، نستنتج أنّـه لا حدّ لنوع هـذه القوّة ومقدارهـا، وهي تتبدّل بتبـدّل الأزمنة، والميزان فيها أن تكون مناسبة لمواجهة العدو.

(1) كنز العمال، ح10812، 10841، 10844، 10847.

(2) أبو بكر السيوطي، الدر المنثور، بيروت، دار المعرفة، ج3، ص193.

والروايات التي قد وردت في هذا المجال، جميعها كانت لتعيين مصاديق هذه القوّة وبيـان اتساع معناهـا وشموله. فقد عُبّر عن هذه القوة فـي بعضها بتعبير «**الرماية**» كمـا قيـل أيضاً أنّ المقصود من القوّة هو؛ وحدة الكلمـة والثقة بالله تعالى والرغبة في الثـواب الإلهي وأحياناً فُسِّرت بمعنى «**الحصـن**»، وأخرى فُسِّرت - كما في بعض الروايات - بالسلاح والسيف والترس وحتى بصبغ الشعر الأبيض للمجاهدين[1].

ومـن المعروف أنّ النبي ﷺ علِم في أيـام حرب حُنين باختراع سلاح جديد في اليمن فأرسل على الفور رجلاً إلى هناك كي يشتري هذا السلاح للمجاهدين[2].

وبنـاءً عليـه، يمكن في هذا الزمـان أن نعتبر تأمين وصناعـة الوسائل العسكرية المتطوّرة كالدبابات المتنوّعة، والصواريخ، والطائرات، والسفن الحربية، والتدريب المتواصل للقوات العسكرية، هو من مصاديق إعداد هذه القوة.

تطوير الوسائل القتالية:

أمّـا التعبيـر الثاني فـي الآية، وهو تعبيـر «**رباط الخيـل**» (أي الخيـل المربوطة والمستعدّة)، فيعدُّ أيضاً من مصاديق تلك القوّة. ولأنّ الخيل الأصيلة والسريعة كانت هـي أفضل وسيلـة للركوب والقتال في عهد النبي ﷺ، فقـد ذُكِرَت بعنوان النموذج الأفضل؛ وذِكْرُ هذا المصداق يُرشدنا أيضاً إلى ضرورة تحصيل أكثر العتاد الحربي تقدّماً وتأثيراً.

وفـي هذا الصدد يقول الإمام القائد الخامنئـي دام ظله: «يجب أن تكونوا دائماً في حالـة تقدّم؛ لأنّ العدو ينتظـر الأرضية الملائمة للنفوذ، وهو ينتظـر تأخّركم ليشنّ هجومـه. وأفضل طريقة لصـدّ هجومه هو الهجوم عليـه. وإنّ تقدّمكم وتطوّركم هو هجـوم علـى العدو. فالبعض يتصـوّر أنّ الهجوم علـى الأعداء معناه حمـل المدفع

(1) يُراجع، تفسير نور الثقلين، ج2، ص164-165.
(2) يُراجع، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج7، ص224.

والأسلحة إلى مكان ما أو التصدّي السياسي من خلال الخطابات، ولا شكّ بأنّ هذا لازم في محلّه، ولكنّ الهجوم لا يكون بهذه الأمور فحسب، فإنّ بناء الإنسان لنفسه ولأبنائه ولمن أُمِّرَ عليهم ولبقية أفراد هذه الأمّة الإسلامية هو من أعظم الأعمال»[1].

ويقول أيضاً دَامَتْ بَرَكَاتُهُ: «أيها الأعزاء، يا أبناء القوات المسلّحة، يجب عليكم تنمية قدراتكم العسكرية، والمحافظة على أجواء النظم والتعلّم بأفضل صورة، وكذلك يجب عليكم أن تحافظوا على القيم المعنوية والأخلاقية؛ لأنّها تعتبر من الأمور المهمّة والضرورية لأية مجموعة عسكرية»[2].

هدفنا من الجهوزية القتالية

إنّ الهدف من وراء ضرورة الإعداد وتأمين السلاح وزيادة القدرة القتالية، ليس هو التعدّي على حقوق الآخرين وظلمهم، بل هو منع الأعداء الطامعين وردعهم عن التفكير بالهجوم وشنّ الحملات على المسلمين أو الوطن الإسلامي؛ وفي قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3]، إشارة إلى هذا المعنى.

ويدلُّ على ذلك أنّه يشير في الآية التالية مباشرة إلى التأثير العميق لهذه الجهوزية الدفاعية على معنويات الأعداء، فيقول: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

فهذا الإجراء الذي يتّخذه المسلمون ليس فقط يُخرِج فكرة الهجوم عليهم من أذهان الأعداء، بل يدفعهم إلى التفكير في عقد صلح وإرساء أواصر العلاقة الطيّبة مع المسلمين.

---

(1) جمهوري إسلامي، 25/ 9/ 1375هـ.ش(1996م).
(2) حديث ولايت، ج6، ص253.
(3) سورة الأنفال، الآية 60.
(4) سورة الأنفال، الآية 61.

وعليــه، فللجهوزية العسكرية والدفاعية في الإسلام بُعدٌ سلمي ودعوة إلى الصلح لا إلى إشعال الحروب.

والمسألــة الأخــرى التي ينبغي الالتفات إليها في سيــاق عرض الهدف من وراء هذه الجهوزيــة، هي أنّها تصــبّ في المقصد النهائي للجهاد، وهو: أن يكون «**في سبيل الله**» فاقتران «**عدو الله**» مع «**عدوّكم**» في الآية يدلّ على أنّه في تطبيق هذا التكليف بضرورة الإعداد لا مكان للأهداف الشخصية، بل إنّ الهدف هو حفظ دين الإسلام فقط[1].

(1) يُراجع، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج7، ص226.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. إنّ عقـل الإنسـان يحكم كما فطرته وغريزتـه بضرورة توفيـر الاستعداد الكافي للدفاع في أيام الصلح والسلم؛ وذلك لأجل التمكّن من الوقوف في وجه العدو إن هو قام فجأة بهجوم خاطف وسريع.
2. قـد دلّت التجارب على أنّ الشعوب اليقظة والمستعدّة تمكّنت على الدوام من صدّ الحملات المفاجئة للعدو، وحفظـت بقاءها واستمرار وجودها. وعلى العكس من ذلك، فإنّ الشعوب التي كانت تعيش الغفلة واللامبالاة، كانت تسقط دائماً ضحية لغفلتها وتتعرّض للهزيمة.
3. الإسـلام يأمـر أتباعه أن يُعـدوّا ما استطاعوا من قوّة لأجـل الدفاع عن أنفسهم، وذلك قبل وقوع الحرب وظهور الحاجة إلى الدفاع، بل أكثر من ذلك فإنّه يأمرهم أن لا يسمحوا للعدو حتى بمجرّد التفكير بالهجوم على بلاد المسلمين.
4. يجب على كلّ من الدولة الإسلامية والشعب المسلم أن يعدّوا أنفسهم. فعلى سبيل المثـال، يجب على الدولة الإسلامية أن تُهيّـئ كلّ الإمكانات اللازمة لتعليم فنون الحـرب المختلفة، كمـا أنّ عليها أيضاً مسؤولية تأمين السـلاح الخفيف والثقيل بكافة أنواعه والعتاد الحربي.
5. يجب على الشعب تعلّم الفنون القتالية التي يُحتاج إليها، وأن يُشكّلوا كتائب تعبوية عسكرية مستعدّة للمواجهة دائماً.
6. إنّ الهدف مـن وراء ضرورة الإعداد وتأمين السلاح وزيادة القدرة القتالية، ليس هـو التعدّي على حقوق الآخرين وظلمهم، بل هو منـع الأعداء الطامعين وردعهم عن التفكير بالهجوم وشنّ الحملات على الوطن الإسلامي.

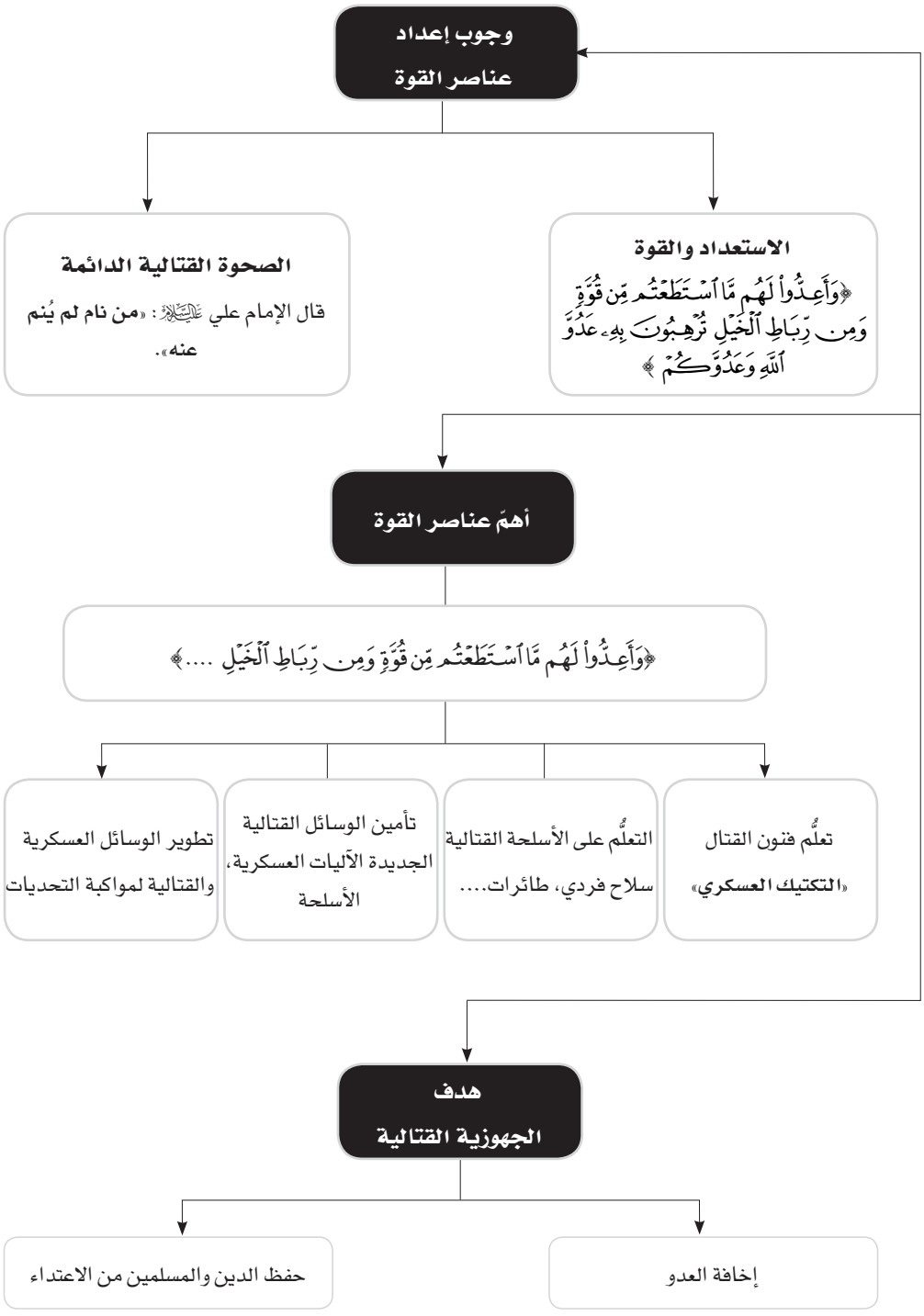
وجوب إعداد
عناصر القوة
الاستعداد والقوة
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾
الصحوة القتالية الدائمة
قال الإمام علي عليه السلام: «من نام لم يُنم عنه».
أهمّ عناصر القوة
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ....﴾
تعلُّم فنون القتال «التكتيك العسكري»
التعلُّم على الأسلحة القتالية سلاح فردي، طائرات....
تأمين الوسائل القتالية الجديدة الآليات العسكرية، الأسلحة
تطوير الوسائل العسكرية والقتالية لمواكبة التحديات
هدف
الجهوزية القتالية
إخافة العدو
حفظ الدين والمسلمين من الاعتداء

10

أهمية الحرب النفسية وضرورتها

مفاهيم محورية:

- ما هي الحرب النفسية؟
- أهداف الحرب النفسية؟
- كيف نواجه الحرب النفسية؟

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

ما هي الحرب النفسية؟

تُعدّ الحرب النفسية من أخطر أنواع الحروب، وأقساها على الإطلاق. فهي تستهدف قلب الإنسان وعقله وسلوكه وتقوده نحو الهزيمة والاستسلام بعد القضاء على روح المواجهة لديه. وهي لا تستهدف الأفراد فقط بل تستهدف كلّ فئات المجتمع. وعُرِّفت الحرب النفسية بتعاريف مختلفة، منها: أنّها عبارة عن إجراءات يتّخذها الطرف الأوّل نحو الطرف الثاني من خلال الدعاية والإعلام بشتّى ألوانها للسيطرة على أفكار الآخر ومشاعره وعواطفه وسلوكه ومعنويّاته.

أهداف الحرب النفسية

تهدف الحرب النفسية إلى تحطيم الروح المعنوية وزعزعة الإيمان بالهدف المنشود والتشكيك في القيادات المسؤولة وبثّ الفرقة بين صفوف المجتمع وزرع

(1) سورة آل عمران، الآية151.

اليأس وعـدم الثقة وروح الاستسلام في النفس، وبالتّالـي إضعاف الجبهة الداخلية لأيّ مجتمع وإحداث الثغرات فيه.

فالحرب بواسطة السلاح تستطيع أن تُدمّر القوّات والمعدّات، والحرب الاقتصادية يمكـن أن تحـرم الخصـم من المـواد والموارد الحيويـة، أمّا الحـرب النفسية فهي تستطيـع أن تُحقّق ما هو أخطر وأعمق أثراً، إنّها تُجرّده من أثمن ما لديه وهو إرادته القتاليـة، فهي تستهدف فـي المقاتل أو المواطن عقله وتفكيـره وقلبه وعواطفه لكي تُحطِّم روحه المعنوية وتقوده إلى الهزيمة.

كيف نواجه الحرب النفسية؟

تُعـدُّ دائرةُ الحرب النفسية كما ذكرنا أكثـر اتساعاً من دائرة الحرب العسكرية، ذلـك أنّهـا تمتدّ من الناحية الزمانيـة على فترة أطول، حيث تبـدأ قبل مدّة من بدء الحرب العلنية، وتستمرّ بعدها بمدّة أيضاً.

ومـن الناحيـة المكانية، لا تنحصرُ الحـرب النفسية في جبهة القتـال، بل تطالُ آثارهـا الخطوط الخلفيـة للجبهة. وعليه، فالأفـراد الذين ليسوا فـي حالة مواجهة عسكريـة هم أيضـاً عرضةٌ - وبشـكل مباشـر - لتهديدات الحـرب النفسية، حيث تُشَاهد آثارها على أفكارهم وتصرّفاتهم.

وفـي بعض الموارد، يكون سلاح الحـرب النفسية أكثر فعاليّـة وتأثيراً من سلاح الحـرب العسكريـة. والسبـب فـي ذلـك أنّ الحـرب النفسية إنّمـا تنال مـن أفكار المجاهدين وعامّة الناس ومعنوياتهما، ومن خلال آثارها الإيجابية أو السلبية، تدفع بهم أكثر إمّا نحو الاستمرار في الحرب أو العدول عنها.

ولهـذا السبب، يُلاحظُ أحياناً أنّ جبهةَ قتالٍ بعددٍ جنـودٍ قليل وتسليحٍ غير كافٍ، ولكن مع وجود معنويّات قويّة واعتقادٍ راسخ بصحّة الطريق، تنال النصر.

وفـي المقابل، نجـدُ أنّ فئة كبيرة قد تقبلُ الاستسلام أمـام العدوّ - حتى قبلَ أن

تحصل الهزيمة العسكرية فعلياً – بسبب عدم وجود معنويات قويّة.

وعلى المجاهدين وقيادتهم أن يمتلكوا زمام المبادرة في الحرب النفسية كما هو الحال في الحرب العسكرية، وأن يُعجِزوا العدو، ويقتربوا من النصر عن طريق القيام بهجوماتٍ متكرّرة، وردّ الحملات النفسية التي قد تُشنُّ عليهم.

هدفنا من الحرب النفسية

الأهداف الأساس من مواجهة الحرب النفسية يمكن اختصارها بالأمور والعوامل التالية:

توحيد صفوف المجاهدين وإيجاد الاختلاف في صفوف العدو:

إنّ الوحدة بين القوات المجاهدة من أفضل العوامل على الإطلاق، فهي ترفع المعنويات وتبعث الطمأنينة فيهم عند لقاء العدو، وتوفّر لهم أسباب الانتصار. ولأجل تحقيق هذا الغرض، حثّ القرآن الكريم المؤمنين على الوحدة، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1].

ومن ناحية أخرى، نهى المجاهدين عن التنازع فيما بينهم، لأنّ ذلك يؤدّي إلى زوال قوّتهم وشوكتهم، ويُجرّئ العدو عليهم، حيث قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

وبهدف إيجاد الوحدة بين المؤمنين، عمد النبي الأكرم ﷺ إلى إقامة عقدٍ للأخوّة فيما بينهم، وحيثما كان يشمّ رائحة الاختلاف بين المؤمنين؛ كان يسارع بكلماته البليغة إلى وأد هذا الاختلاف في مهده، ويزيل أرضية وجوده واستمراره.

وإن إيجاد الاختلاف أو تقوية الموجود منها بين صفوف العدو، يُعدُّ من العوامل الفعّالة في الحرب النفسية؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى أن ينشغل العدو بنفسه، وإلى سلب

(1) سورة الصف، الآية 4.
(2) سورة الأنفال، الآية 46.

فرصة إثارة الفتن والمكائد من يده. ولقد اتبع النبي الأكرم ﷺ في معركة الأحزاب خطّة مدروسة بعناية لإيجاد الاختلاف بين صفوف الكفّار، وكانت هذه الخطوة منه أحد الأسباب الرئيسة في انتصار المسلمين في تلك الحرب.

فقد أمر الرسول ﷺ نعيم بن مسعود، وكان قد أسلم حديثاً دون أن يعلم أحد من الكفار بذلك، بأن يوجد التفرقة بين اليهود والمشركين الذين كانوا قد تواطؤا معاً خلال معركة الأحزاب للإطاحة بالإسلام، مستفيداً من علاقته الحميمة والمقرّبة من الطرفين. وقد تمكّن نعيم عن طريق محادثات منفصلة مع يهود بني قريظة الذين كانوا داخل المدينة، ومع المشركين الذين كانوا يحاصرونها من خارج، أن يجعل كلّاً منهما يُسيء الظنّ بصاحبه، وبالتالي استطاع أن يفكّكَ اتحادهما، ممّا أضعفَ قدرتهم، فأدّى ذلك – إلى جانب عوامل أخرى – إلى انتصار المسلمين[1]. ويجب الالتفات في هذه المواجهة إلى أنّ العدو يلجأ أحياناً إلى استخدام هذه الحربة ضدّ المجاهدين، ويعمل على إيجاد التفرقة بين صفوفهم، ولذا يجب عليهم الوقوف بحذر ويقظة في وجه سعيه هذا.

تقوية معنويات المجاهدين وإيجاد روحية الشك في صفوف العدو:

إنّ عمل كلّ إنسان، وميزان قوّته أو ضعفه في إنجاز هذا العمل، يرجعُ إلى معتقداته وتصوّراته التي يحملها. فالإنسان الذي يعتقدُ بفائدةِ عملٍ ما وضرورته، ينجزه بمنتهى القوّة والدقّة والمسؤولية.

وإن كان متردّداً بشأنه، فإنّه يتركُه عندَ أول مشكلة يواجهها. ولهذا، يُعدُّ رسوخُ العملِ في معتقدات الإنسان، أهم عامل من الناحية النفسية في إنجازه وإتمامه.

(1) يُراجع، تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج2، ص578. والسيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج3، ص240. والمغازي، الواقدي، ج2، ص480.

وبالالتفـات إلى هذا الأمـر، ولأجل أن يؤدّي المجاهدون فـي سبيل الله ما عليهم في ساحة الحرب بشكل صائب، ولا تظهر منهم أدنى بوادر الضعف والتراجع، ينبغي عليهم فـي البداية أن يقوّوا معتقداتهم، وأن يُهيّئـوا أنفسهم عن طريق معرفة الحقّ وتمييزه عن الباطل.

ومـن جانب آخر، لإضعاف العدو يجب أن يعمـل المجاهدون على أن تسودَ بينهم روحيّة الشكّ والضعف. فالأعداء الذين حضروا إلى ساحة القتال وهم يحملون عقائد واهية وباطلة، وهم يظنّون أنّها الحقّ، يمكن أن تُسلبَ القدرةُ منهم والمبرّرات بمجرّد بيـان الحقائـق والوقائع الصحيحة. ومثـل هذا العدو، إن أمكننـا أن نبدّل يقينه إلى شكّ، لن يحتاج بعدها إلى كثير عمل نقوم به في مواجهته، ويمكن هزيمته بسهولة.

ولهـذا السبب ذُكِرَ في الفقه الإسلامي لزوم الدعوة إلى الإسلام قبل جهاد العدو ومقاتلتـه. وفي سيرة المعصومين عليهم السلام مـا يحكي عن ذلك بوضوح. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام خلال الحروب، يسعى بقوّة - قبل بدء المعركة - إلى هداية أعدائه وتغييـر مـا هم عليه، وذلـك عن طريق إلقائـه أو أحد قادته، لخطبـة أو حديث على مسامعهم.

وطبعـاً لا تنبغـي الغفلة عن أنّ العدو في هذا النوع مـن الحرب النفسية، يعمد إلى بـذل جهود مقابلة لإضعاف قـدرة المجاهدين. فرَفْع جيش معاويـة للمصاحف على رؤوس الرماح في معركة صفّين كان لأجـل تحقيق هذا الغرض، وهو ما أدّى بالفعل- وعـن طريـق إدخال الشكّ في نفوس كثيرين من جند الإمام علـي عليه السلام - إلى دفع هؤلاء الجنود للضغط على الإمام عليّ عليه السلام لقبول وقف الحرب والتحكيم المفروض.

وقـد نُقِلَ في بعض التفاسير[1] أنّ البعض من أهل الكتاب كانـوا يعمدون لأجل

(1) يُراجـع: تفسير راهنما: أكبر هاشمي رفسنجاني؛ وجمع من المحقّقين، مركز منشورات دفتر تبليغات اسلامى، ج4، ص105.

إيجاد روحية الشكّ والضعف في نفوس مسلمي صدر الإسلام، إلى الإيمان أوّل النهار والكفر في آخره، ليشكّكوا بهذه الوسيلة في صحّة الإسلام وصوابيّته، حيث يقول تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

الاستفادة من سلاح التبليغ والإعلام:

يجب أن يعمد المجاهدون، وبالاستفادة من الطاقات الفاعلة ووسائل الإعلام العامّة، إلى التبليغ بأفضل صورة. وينبغي خلال التبليغ ضدّ العدو، الاستفادة من أساليب يكون لها أكبر الأثر في تقوية معنويات المجاهدين، وإضعاف معنويات العدو وتدميرها.

فيما مضى، كان الارتجاز في الحرب عادة يُعملُ به. فعن طريقه، كان الأشخاص يُعرّفون أنفسهم أمام الخصم، وأحياناً يعلنون عن غاياتهم وأهدافهم. أمّا اليوم، وقد تعدّت الحروب إلى أبعد من مواجهة رجل لرجل، وأصبحت تُصيب بنارها الشعوب التي تفصلها آلاف الكيلومترات عن بعضها البعض، فلا بدّ من أجل التبليغ ضدّ العدو، والإشارة إلى أهدافنا ومقاصدنا، أن نستفيد من وسائل الإعلام والاتصال العامّة.

وأحد الأهداف المهمّة للتبليغ، هو سلب الدوافع من الأعداء للهجوم على المجاهدين، لأنّه إن أمكن سحب الذرائع من أيديهم، لم يَعُد بإمكانهم توفير حجّة للهجوم والإصرار على متابعة العمليات؛ وبضغط بسيط يمكن دفعهم نحو الاستسلام أو الهزيمة.

ومن الأهداف المهمّة الأخرى في التبليغ، تضخيمُ نقاط ضعفِ العدو وإبرازها. وفي هذا المجال، ينبغي في البداية الحصول على المعلومات الكاملة من خلال كلّ الوسائل المتاحة، حول النقاط الحسّاسة، والتي يمكن توجيه الضربات إليها عند

(1) سورة آل عمران، الآية 72.

العدو، ومن ثمّ يمكن البدء بحرب نفسية وإعلامية لقلع العدو من مكانه. ومن ناحية أخرى، من الضروري مواجهة دعايات العدو، وتحوز مسألة الحذر من شائعاته أهمّيّة كبرى فـي هذه الحرب النفسية، لأنّ العدو يسعى عن طريق بثّ الإشاعات إلى حرف توجّهات المجاهدين والإضعاف من عزيمتهم.

لقـد كانت شائعةُ مقتلِ النبي الأكـرم ﷺ في معركة أُحد من الشائعات التي قام العـدو ببثّها، ممّا أدّى إلى فرار كثير من المسلمين. وكذلك، أدّى نشر شائعة الصلح بيـن الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية خلال المواجهة بيـن الجيشين، إلى تراجع حدّة القتال، وتوقّف كثير من جنده عليه السلام عن متابعة المعركة.

وفي مثل هكذا حرب نفسية، ينبغي في البداية زيادة الوعي السياسي للمجاهدين، ومن ثم اطلاعهم، عن طريق إجراء التحليلات العميقة والصحيحة، على حقيقة هذه الشائعـات التي أطلقها العـدو بشكل مدروس، ومن جانب آخـر، نأخذ بعين الاعتبار أسلوب القرآن المجيد في كيفية التعامل مع الشائعات. ففي إطار انتقاده للمنافقين، يقول تعالـى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

ولأنّ العـدو قد يلجـأُ في بعضِ الأحيان إلـى بثّ دعاياته ضـدّ المجاهدين بشكل مدروس ودقيـق، ينبغي القيـام بالردّ عليـه بالأسلوب المناسب وفـق خطة إعلامية مشابهة، تماماً مثلما جرى في معركة أُحد، حيث ردَّ المسلمون بأمرٍ من الرسول ﷺ على شعار زعيم المشركين «**أُعلُ هُبل**» بشعار «**الله أعلى وأجلّ**» وعلى شعار «**نحن لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم**» بشعار «**الله مولانا ولا مولى لكم**»[2].

(1) سورة النساء، الآية 83.

(2) يُراجع، بحار الأنوار، ج20، ص44.

وفـي يوم عاشوراء، كان الإمام الحسيـن عليه السلام يواجه الأعداء عن طريق إطلاق الشعـارات التـي تُبيّـن هدفه، وذلـك ردّاً على أكاذيب العـدو أيضاً. ويقـول الشهيد مطهري قدس سره حول هذا الأمر: «**لقد أطلق أبو عبد الله عليه السلام في يوم عاشوراء شعارات كثيرة، بانت فيها روح نهضته.**

إيجاد السكينة بين المجاهدين وإنزال الرعب في قلوب الأعداء:

مـن الوسائـل الأخرى الفعّالة في الحـرب النفسية، توفيـر السكينة في نفوس المجاهديـن، ويُعـدُّ الاعتماد على الاعتقـادات الإسلامية، من قبيـل دور التوكّل والصبـر فـي تحقيـق النصر والنظـرة الصحيحـة إلـى مسألة المـوت والحياة الخالـدة، وتقديـر المـوت وعـدم تأخّـر الأجـل الحتمـي، والأمـل بالإمـدادات الإلهيـة، من جملـة المسائل التـي تقوّي من تأثيـر المجاهدين وتزيـده، وفضلاً عـن كلّ الأشخاص المتواجدين خلـف الجبهات، حيـث سيواصلون أعمالهم دون خـوف واضطـراب، وبطمأنينة بالٍ، ولن تـؤدّي مشكلات الحـرب إلى اضطراب معنوياتهـم أوخسرانهـا.

ونجـد هذا الأسلوب من الحرب النفسية فـي سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام في حروبهم مع الأعداء نذكر منها:

1. في معركة أحد:

ومـن الإجـراءات الأخـرى لإلقـاء الرعـب والخـوف في قلـوب الأعـداء، القيام بالتحرّكات العسكرية المناسبة. فبعد هزيمة أُحُد، أمر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الأشخاص الذين قد شاركوا في المعركة، حتى الجرحى منهم، أن يخرجوا تحت إمرته لملاحقة العـدو؛ وهو مـا عُرف باسم غزوة «**حمـراء الأسد**» والتي كانـت استعراضاً للقوة في الواقع. وعلى أثر هذه المناورة ووصول خبرها إلى مسامع أبي سفيان ورجاله، والذين

كانوا يعزمون على الرجوع إلى المدينة والقيام بالقضاء المبرم على المسلمين، أخذ الخوف والرعب من قلوبهم كلّ مأخذ، فعدلوا عن نيّتهم وعادوا إلى مكة[1].

2. في فتح مكّة:

وكذلك، أمر ﷺ خلال فتح مكة أن يشعلوا النار على رؤوس المرتفعات المحيطة بمكـة. وحينما خرج أبـو سفيان للاطلاع على منشأ النار ذُهِـلَ، وارتعب من صفوف المجاهديـن التي كانـت تمرُّ من أمامه، إلى الدرجة التي حذّر الناس عند عودته إلى مكة والوقوف في وجه جيش الرسول[2]. ﷺ وقد وفّر استعراض صفوف المجاهدين الأرضية المطلوبة لفتح مكة دون إراقة الدماء.

ويجـب الالتفات إلى أنّه لأجل إيجاد الخوف بين الأعـداء، من اللازم أن يُتمسَّك بأعمـال لا يُحرِّمها الإسلام، لأنّ أعمالاً كالتمثيـل بالقتلى أو قتل الأسرى[3] أو إقامة محـارقَ للبشر... فهـي وإن كانت تُعدّ أعمـالاً باعثة على رعب العـدو وهلعه، ولكنّها ليست جائزة.

3. في حرب صفين:

وأمّـا المسألـة المهمّة في هـذه المواجهة، فهـي بعث الرعب والخـوف في قلوب الأعـداء، والذي يمكن تحقيقه من خلال القيام بعـدّة أمور. وإحدى هذه الإجراءات هـي القيام بتهديد العدو. ففي أحد أيام حرب صفين، أظهر الإمام علي عليه السلام بأنّه سيشـنّ هجومـاً على جيش معاوية مـع طلوع الصباح، فوصل هـذا الخبر إلى أسماع معاوية ورجاله، واستولى الخوف عليهم، وزالت معنوياتهم[4].

---

(1) يُراجع، بحار الأنوار، ج20، ص64. وتاريخ إسلام: محمد إبراهيم آيتى، ص319.

(2) يُراجـع، بحار الأنوار، ج21، ص103. والمغازي، الواقـدي، ج2، ص814. والسيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج3، ص78.

(3) المقصود في الحالة التي لا يستمر معها الخطر، وتكون الحربُ قد وصلت إلى نتيجتها.

(4) يُراجع: وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ص468.

4. في حرب الجمل:

وفي حرب الجمل كذلك، نادى أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا محمد بن أبي بكر! إن صُرِعَتْ عائشةُ فوارها وتولّ أمرها**» فتضعضع القوم حين سمعوا ذلك واضطّربوا، وأمير المؤمنين عليه السلام واقف في موضعه...[1].

(1) الشيخ المفيد، الجمل، مكتبة الداوري - قم - ايران، ص183.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. تُعـدُّ دائرةُ الحـرب النفسية أكثر اتساعاً من دائرة الحـرب العسكرية، ذلك أنّها تمتـدّ مـن الناحية الزمانية على فترة أطول، حيث تبـدأ قبل مدّة من بدء الحرب العلنية، وتستمرّ بعدها بمدّة أيضاً.
2. من الناحية المكانية، لا تنحصرُ الحرب النفسية في جبهة القتال، بل تطالُ آثارها الخطـوط الخلفية للجبهة. وفي بعض المـوارد، يكون سلاح الحرب النفسية أكثر فعاليّة وتأثيراً من سلاح الحرب العسكرية.
3. السبب في ذلك أنّ الحرب النفسية إنّما تنال من أفكار المجاهدين وعامّة الناس ومعنويّاتهمـا، ومن خـلال آثارها الإيجابيـة أو السلبية، تدفع بهـم أكثر إمّا نحو الاستمرار في الحرب أو العدول عنها.
4. يمكن في الحرب النفسية أن يُستفاد من أدوات عدّة، أهمّها الآتي:
   - ترسيخ الوحدة بين المجاهدين وإيجاد الاختلاف في صفوف العدو.
   - تقوية معنويات المجاهدين وإيجاد روحية الشك والضعف في صفوف العدو.
   - الاستفادة من سلاح التبليغ والإعلام.
   - إيجاد السكينة بين المجاهدين وإنزال الرعب في قلوب الأعداء.

الحرب النفسية
هي عبارة عـن إجراءات تتّخـذ من أجل السيطـرة علـى أفـكار الآخـر ومشاعره وعواطفه وسلوكه ومعنوياته.
هدف الحرب النفسية
1ـ تحطيم الروح المعنوية وزعزعة الإيمان.
2.بثّ التفرقة بين صفوف المجتمع وزرع اليأس، وعدم الثقة.
نماذج من الحرب النفسية
معركة أحد
استعراض القوة في «غزوة حمراء الأسد»
فتح مكة
إشعال النار على المرتفعات المحيطة بمكة
معركة الجمل
«إن صرعت عائشة فوارها، وتول أمرها»
معركة صفّين
«إشاعة شنّ الهجوم على معسكر معاوية»
معركة كربلاء
«شعارات ثورة الإمام الحسين عليه السلام»
الهدف من مواجهة الحرب النفسية
الوحدة والتفرقة
إيجاد الوحدة بين المجاهدين وتفرقة العدو.
المعنويات
المحافظة على معنويات المجاهدين.
التحسّب للفتنة ومواجهتها قبل انتشارها.
الإعلام
الاهتمام بسلاح الإعـلام والتبليغ من أجل منع الأعداء من التفكير بالاعتداء أو الهجوم.
الطمأنينة
الطمأنينـة والسكينة يجـب زرع الطمأنينـة في قلـوب المجاهدين وإنزال الرعب والهلع عند العدو وأعوانهم.

11

سنن النصر والهزيمة

مفاهيم محورية:

- كيف ننتصر؟
- الإعداد العسكري الجيد.
- الإمدادات المعنوية والغيبية.
- كيف يمكن أن ننهزم؟

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1].

كيف ننتصر؟

يمكـن تقسيم عوامل تحقّق النصر في الحرب إلى قسمين: عوامل مادية وعوامل معنوية، وفيما يلي نستعرض نبذة عن أهم هذه العوامل.

الإعداد العسكري الجيد

تُعتبـر الجهوزيـة القتالية، وتوافـر الإمكانات والعتـاد الحربـي، والاستمرار في التدريب العسكري والتخصّصي من العوامل المادّية المؤثّرة في انتصار قوّة عسكرية مـا. وإنّ توفير هـذه العوامل بالشكل الكامـل والمطلوب كان بوحي مـن قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ...﴾[2]؛ وهو ما يُثبت بدوره أنّ القـرآن الكريم قـد رأى في تأمين كافة العوامل الماديـة سبباً من أسباب تحقيق الانتصار في الحرب.

---

(1) سورة محمد، الآية 7.

(2) سورة الأنفال، 60.

ولأجـل أن يتمكّـن المسلمون من الحصول على هذه العوامـل المادّية المؤثّرة في صناعـة النصر ومن القيـام بالتكليف الملقى على عاتقهم، ينبغـي لهم من جهة أن يتعلّمـوا كلّ العلـوم والفنون الحربية، ويزيدوا من قدراتهـم العسكرية يوماً بعد يوم. كمـا ينبغي عليهم من جهة أخرى أن يُؤمِّنُوا، وعلى قدر استطاعتهم، أحدث الأسلحة وأكثرهـا تقدّمـاً، مثلما كانت سيـرة الرسول الأكـرم ﷺ، والتـي لا يخالفها جميع العقلاء والخبراء العسكريون.

وكذلك، تُعدّ القوات البشرية الكافية أحد الأركان الأولى للحرب، والتي ليس هناك مـن شكٍّ في ضرورة تهيئتها وتربيتها. ويدرك الاختصاصيون العسكريون أهمّيّة مثل هذه العوامل – كمّاً وكيفاً – وهم يعملون على القيام بما يلزم لتأمينها.

وفي هذا الصدد يقول الإمام القائد الخامنئي دام ظله: «على القوات المسلحة تقوية بنيتها من الناحية العلمية والإعدادية والانضباطية والنظامية، كما يجب أن تكون في أعلى درجات المعنويات وتثبيت القلوب على الإيمان»[1].

الإمدادات المعنوية والغيبية

إنّ مـا يجب إيلاؤه أهمّيّة أكبر في هذا البحث، هو العوامل المعنوية للنصر والتي تأتـي الامـدادات الغيبية على رأس هـذه العوامل؛ نظراً لكونهـا العوامل الرئيسة في تحقيقـه. وفيما يأتي شرح مفصّل لها. المراد من «**الإمداد**» هو «**تقديم المساعدة**»، ومـن «**الإمدادات الغيبية**» هو «**إيصال النصرة الخفيـة**»، والذي يَحدثُ من قبل الله تعالى، ويعدُّ أحد العوامل المهمة لانتصار المسلمين.

وقـد ذُكِرَت في العديد من آيات القرآن المجيد، نمـاذج من الإمدادات الغيبية الإلهية التي كانت تفاض على المجاهدين طوال التاريخ الماضي، وخصوصاً تاريخ صدر الإسلام. ولقد تجلّت – ولا تزال – الإمدادات الإلهية للمجاهدين بصورة مختلفة، ومن أهمّها:

(1) جمهوري إسلامي، 1370/8/5هـ.ش(1991م).

إيجاد الخوف في قلوب العدو:

إنّ الأشخاص الذين لديهم اطلاع بشؤون الحرب وأحوالها، يعلمون أن تحلّي المقاتلين بالشجاعة وعدم الخوف هو أحد أهم عوامل الانتصار. ولأجل تقديم النصر للمؤمنين، فقد نزع الله تعالى هذه الروحية من العدو، وألقى بدلاً عنها الخوف والرعب من قدرة المسلمين في قلوبهم، مثلما شاهدنا ذلك جلياً في معارك صدر الإسلام المختلفة، حيث يقول تعالى متحدّثاً عن أوّل معركة بين الإيمان والكفر، معركة بدر، فيقول تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1].

وبعد إثارة حماسة المسلمين للمشاركة في غزوة «**حمراء الأسد**»[2]، يقول تعالى أيضاً: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[3].

والسبب الأساس في انتصار المسلمين على يهود «**بني قريظة**» كان أيضاً الإمداد الإلهي، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[4].

كما أنّه كان السبب كذلك في الانتصار على يهود «**بني النضير**» فدفعهم ليخربوا بيوتهم بأيديهم، حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ

(1) سورة الأنفال، الآية 12.

(2) اسم مكان على بُعدِ ثمانية أميال من المدينة، حيث أُمر النبي الأكرم ﷺ من قبل الله أن يتعقّب المشركين إليه، مباشرة بعد معركة أُحد.

(3) سورة آل عمران، الآية 151.

(4) سورة الأحزاب، الآية 26.

ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1].

ولقد كان انتصار المسلمين عن طريق إلقاء الخوف في قلوب الأعداء من الأهمّيّة بمكان أنّ النبي ﷺ كان يعتبره أحد خصوصيّاته الإلهية، حيث قال ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَها أحدٌ من قبلي... ونُصرتُ بالرّعب»[2].

نصرة الملائكة:

يُقدَّم النوع الثاني من الإمداد الإلهي بواسطة الملائكة، حيث يرسلهم تعالى لمساعدة المسلمين، وليسرّع في انتصار المؤمنين على المشركين من خلال تقوية معنوياتهم. وقد تحدّث القرآن المجيد عن مثل هذا الإمداد الغيبي في معركة بدر، فقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾[3].

ولأجل دفع المسلمين وحثّهم على الاشتراك في غزوة «**حمراء الأسد**» يعدهم الله بمثل هذه النصرة، فيقول تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[4].

كما ويصف نصرة المسلمين عن طريق الملائكة في معركتي الأحزاب وحنين، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[5].

(1) سورة الحشر، الآية 2.
(2) بحار الأنوار، ج8، ص38.
(3) سورة آل عمران، الآية 124.
(4) سورة آل عمران، الآية 125.
(5) سورة الأحزاب، الآية 9.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

إنزال السكينة على المؤمنين:

انطلاقاً من أنّ عوامل مختلفة كالخوف والشكّ في الهدف، تؤدّي إلى تخريب روحية المجاهدين ومعنوياتهم، فإنّ الله تعالى لا يخرج ذلك من قلوبهم فحسب، بل يُلقي بدلاً منها السكينة والطمأنينة. فخلال أحداث «**صلح الحديبية**» مرّ المسلمون في ظروف صعبة أوجدت التزلزل في نفوس ضعاف الإيمان. فقد كان النبي ﷺ يبشّر بدخول المسجد الحرام ولكنّ المسلمين لم يدخلوه حينها، وكانوا قد أَحْرَمُوا للعمرة، فمنعهم المشركون من أداء مناسكها، فاضطروا للخروج من إحرامهم، إلى ذبح أضحية. كما أنّ قبول بنود الصلح كان ثقيلاً وصعباً على البعض منهم.

وفي مثل تلك الأوضاع، كان أن أنزلَ اللهُ سكينتَهُ على قلوبهم، حيث أشار القرآن المجيد إلى هذا بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2]. والمراد من السكينة هو الهدوء والاطمئنان، والتي يزول معها كلّ نوع من أنواع الشكّ والتردّد والخوف، وتثبت أقدامه في خضم الحوادث الصعبة.

وكذلك كان الأمر في معركة «**حنين**» التي فرّ فيها كثير من المسلمين، حيث عُدَّ نزول السكينة على النبي ﷺ والمؤمنين منَ الإمدادات الإلهية التي تُضاف إلى الإمدادات الغيبية الأخرى، حيث يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

---

(1) سورة التوبة، الآية 26.

(2) سورة الفتح، الآية 4.

(3) سورة التوبة، الآية 26. طبعاً يعتبر بعض المفسرين، أنّ نزول السكينة في حنين اختصّ بالأشخاص الذين استقاموا مع النبي ﷺ وثبتوا.

كيف يمكن أن ننهزم؟

يستفاد من منطق القرآن المجيد أنّ لعوامل الهزيمة جذوراً تضربُ في أعمال الإنسان وسلوكه، حيث يقول تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1]. وعليه ينبغي على المجاهدين أن يسارعوا بعد كلّ انتكاسة إلى تقويم نتائج أعمالهم والوقوف على نقاط ضعفهم وتقصيرهم، ويعمدوا إلى رفعها وجبرانها، لا أن ينسبوها إلى الله أو أشخاص آخرين، فيغفلوا عن إصلاحها، فيتعرّضون للهزيمة مرّة ثانية لتلك الأسباب نفسها.

وتنقسم عوامل الهزيمة كعوامل النصر إلى عاملين: مادي ومعنوي وكما هو الحال في العوامل المادّية للنصر، تبحث العوامل المادّية للهزيمة في إطار العلوم العسكرية. ولهذا سوف نتعرّض في هذا الدرس لأهم العوامل المعنوية للهزيمة.

فقدان البصيرة:

يؤدّي عدم المعرفة الحقيقية بالله تعالى - مبدأ وأصل كل قدرة في عالم الوجود- وعدم التوكّل عليه، إلى تزلزل المعنويات وإلى الاضطراب في أوقات الشدّة والمصاعب. كما ويؤدّي إلى وقوع الإنسان في التردّد والحيرة حينما يجب عليه أن يختار بين الدنيا والآخرة طريقاً يسلكه، ومن ثمّ إلى أن يعزمَ على أمر خاطئ. ومن جانب آخر، وعلى أثر حدوث الانتصارات الظاهرية، يؤدّي عدم معرفة هذا المبدأ إلى بروز الغرور والعجب، وتبدّل الانتصارات إلى هزائم، أو إلى سوء الاستفادة من هذه الانتصارات، ومنع النتائج المترتّبة عليها من أن تكون من نصيب المجاهدين.

وفي هذا الصدد يقول الإمام القائد الخامنئي دام ظله: «قوات الحرس يجب أن تعرف دورها وموقعها، وتكون على بصيرة، وتتمتع بالوعي السياسي، والإطلاع

(1) سورة النساء، الآية 79.

علـى الزمان والمـكان، وتمتلك التحليل السياسي الصحيح حـول الأحداث الداخلية والخارجية»[1].

التفرقة:

لقد نهى القرآن المجيد المجاهدين عن التفرقة والخلاف، واعتبرها سبباً لزوال قدرتهم وشوكتهـم: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

ويشيـر أمير المؤمنيـن عليه السلام إلى أنّ الهزيمة هي من نصيـب أولئك الأشخاص الذيـن تخلّفـوا عن الاتحاد ونصرة بعضهم البعض، حيـث يقول عليه السلام: «**غُلِبَ والله المتخاذلـون**»[3]. وفـي مورد آخـر، أبرز الإمام عليه السلام انزعاجـه وقلقه جرّاء اتحاد مخالفـي الحقّ، وتفرّق أهله ونزاعهم فيما بينهم، فقال: «**والله يميتُ القلبَ ويجلِبُ الهمَّ اجتماع هؤلاء القومِ على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم**»[4].

فالأشخاص المُبتَلُون بالخلافات الداخلية لا يُفيدهم وجـود العوامل المادية ولا المعنويـة، ولذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول بهـذا الشأن: «**إنّه لا غَنَاء في كثرة عددِكم مع قلّة اجتماع قلوبكم**»[5].

وقد أشار القرآن الكريم على هذا الصعيد، إلى ما جرى مع المسلمين في معركة أُحد، وكيف أنّ الإمدادات الغيبية رُفِعَت من بينهم عندما تنازعوا فيما بينهم واختلفوا، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ

(1) جمهوري إسلامي، 1370/6/28هـ.ش(1991م).
(2) سورة الأنفال، الآية 46.
(3) نهج البلاغة، الخطبة 34.
(4) (م. ن)، الخطبة 27.
(5) (م. ن)، الخطبة 118.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وفي هذا الصدد يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «علينا أن نقصي روح الفرقة من أعماقنا، وأن نتجنّب إثارة المسائل التي تجلب الاختلاف، وعلينا أن نَعدّ ذلك من الممنوعات الدينية والشرعية»[2].

ويقول أيضاً دام ظله: «عليكم استبدال حالة التشنّج بحالة المحبّة والتفاهم. فإنّ المحبّة سترتقي بالعمل إلى درجة الكمال. وإذا غابت وحلّ مكانها التنافر، فلن يبقى للعمل أي وجود»[3].

العصيان:

مثلما تُعدُّ طاعةُ القائد في الحرب سبباً من أسباب النصر، كذلك يُعدُّ عصيان أوامره علّة لهزيمة المجاهدين. وقد نقل عن الإمام عليّ عليه السلام بهذا الشأن قوله: «**آفّةُ الجُند مخالفةُ القادة**»[4].

وبالالتفات إلى هذا الأصل، نجده أيضاً يكتبُ إلى عامله عثمان بن حُنيف فيقول: «**... فانهَد بمنْ أطَاعكَ إلى منْ عصَاكَ، واستغنِ بمنْ انقادَ معكَ عمَّن تَقاعسَ عنكَ، فإنَّ المتكَارِهَ مَغِيبُهُ خيرٌ من مَشهَدِه، وقُعودُهُ أَغنَى من نُهوضِه**»[5].

حيث إنّ عصيان القوات الموضوعة تحت أوامر أحد القادة، يسلب هذا القائد القدرة على القيام بأي عملٍ، ويضعفه عن النهوض بمسؤولياته، ولقد كانت أكثر

(1) سورة آل عمران، الآية 152.
(2) حديث ولايت، ج 1، ص143.
(3) (م.ن)، ص257.
(4) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط1، دار الحديث، ص182.
(5) نهج البلاغة، الخطبة 4.

شكايات الإمام عليّ عليه السلام من جنده، ترجع إلى عدم طاعتهم له. ولهذا السبب، كان يتمنّى أن يعاوضَ عشرة من جنده لقاء جندي واحد من جنود معاوية المطيعين[1]، لأنّهم كانوا يطيعون معاوية مع عصيانه، بينما كان جنود الإمام عليّ عليه السلام يعصونه مع طاعته لربِّه.

وأحد انتقاداتِ القرآن المجيد لبني إسرائيل كانت أنّهم تمرّدوا على طاعة موسى عليه السلام في حربه لدخول بيت المقدس، واعتبروه وحده المسؤول عن الحرب، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[2].

وتعود علّة الهزيمة في بعض معارك صدر الإسلام إلى عصيان الأوامر أيضاً، مثلما حدث في معركة أُحد، حيث هُزِمَ المسلمون لعدم عملهم بما طلبهُ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم منهم. وكذلك الأمر في صفّين، فإنّ عدم وصول الحرب فيها إلى نتيجتها المرجوة، وما لحق المؤمنين من خسائر بعدها، يَرجعُ جميعه إلى عدم طاعة أمير المؤمنين عليه السلام. كما أنّ تمرّد الجُند وعصيانهم هو الذي أجبر الإمام الحسن عليه السلام على إقامة الصلح مع معاوية.

المفاسد الأخلاقية:

يعدُّ شيوع المفاسد الأخلاقية بين القوات العسكرية المجاهدة سبباً آخراً لضعف القوى المعنوية، وفي النتيجة لهزيمة هذه القوات. وإحدى هذه المفاسد التي لها دور أبرز من غيرها، والتي أشار القرآن المجيد إليها صراحة، هي مفسدة العجب والغرور.

(1) راجع، نهج البلاغة، الخطبة 96.
(2) سورة المائدة، الآية 24.

فإنّ عُجُبَ الإنسان وغروره يعميانه عن مشاهدة الوقائع والحقائق، ويجعلانه يظنّ أنّ جميع الظروف والمعطيات هي تحت سيطرته وتعمل لمصلحته. فالإنسان المغرور والمعجب بنفسه، يغفلُ عن التدقيق في الجوانب المختلفة لمسألة من المسائل، وهو ما يؤدّي إلى نزول الضربات به. وكذلك يسبّب العجب الاعتماد على النفس بدلاً من الاعتماد على الله. وبفقدان هذا المعتَمد الراسخ، يصير السقوط والتراجع أمراً حتمياً وغير قابل للاجتناب.

وكنموذج من التاريخ، يمكن أن نُدقّق النظر في وقعة حُنين. فقد أصاب المسلمين الغرورُ لِمَا رأوه من كثرة عددهم، وتوقّعوا أن يكون النصر الحتمي حليفهم جرّاء ذلك، حتى قال بعضهم: «**لن نُغلَب اليوم من قلّة**»[1].

وفي هذه الحالة، جعلتهم لا يُراعون الأصول العسكرية، فما أن نزلوا الوادي حتى أُخذوا على حين غرّة، وانفرط عقدُ صفوفهم عند أول هجوم للعدو وفرارِ عدد من طلائع الجيش ومقدّمته، وما لبث أن فرّ أغلبهم أيضاً. وقد تحدّث القرآن المجيد عن هذه الواقعة، حيث قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[2].

لقد كان النبي الأكرم ﷺ بعد الانتصارات في بدر، وفتح مكة...، يحرص كثيراً على شكر الله على النصر الذي منّ به على الإسلام والمسلمين، ويُعلِّم المجاهدين أن يتّقوا من العجب والغرور، وأن يعتبروا أنّ النصر من عند الله تعالى.

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الثانية، 1414 – 1993 م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ج1، ص140.

(2) سورة التوبة، الآية 25.

∞ المفاهيم الرئيسة:

1. يمكن تقسيم عوامل النصر في الحرب إلى قسمين: عوامل مادية، وعوامل معنوية.
2. العوامل المادية: حيث تعتبر الجهوزية القتالية، وتوافر الإمكانات والعتاد الحربي، والاستمرار في التدريب العسكـري والتخصّصي من العوامل المادية المؤثّرة في انتصار قوّة عسكرية ما.
3. على القـوات المسلّحة تقوية بنيتها من الناحية العلميـة والإعدادية والانضباطية والنظاميـة، كما يجب أن تكـون في أعلى درجات المعنويـات وتثبيت القلوب على الإيمان.
4. مـن العوامـل المعنويـة: الإمدادات الغيبيـة: والمراد مـن «**الإمـداد**» هو «**تقديم المساعدة**» ومن «**الإمدادات الغيبية**» هو «**إيصال النصرة الخفية**» والذي يَحدثُ من قِبَل الله تعالى، ويعدُّ أحد العوامل المهمة لانتصار المسلمين.
5. ذُكِـرَت في العديد من آيات القرآن المجيد، نماذج من الإمدادات الغيبية الإلهية، أهمّها الآتي:

إيجـاد الخوف في قلـوب العدو، نصـرة الملائكة، إنـزال السكينة علـى المؤمنين، النصرة بواسطة العوامل الطبيعية.

6. يستفـاد من منطـق القرآن المجيد أنّ لعوامل الهزيمة جـذوراً تضربُ في أعماق الإنسان وسلوكه. وبناءً عليه، فمن اللازم للمجاهدين أن يسارعوا بعد كلّ هزيمة أو فشـل إلـى تقويم نتائـج أعمالهم والوقوف علـى نقاط ضعفهـم وتقصيرهم، ويعمدوا إلى رفعها وجبرانها.
7. يمكـن اختصـار العوامـل المعنوية المؤديـة للهزيمة بالتالي: فقـدان البصيرة، التفرقـة، عصيان أوامر القائـد، المفاسد الأخلاقية، حيث يعـدُّ شيوع المفاسد الأخلاقية بين القوات العسكرية المجاهدة سبباً أساساً لهزيمة هذه القوات.

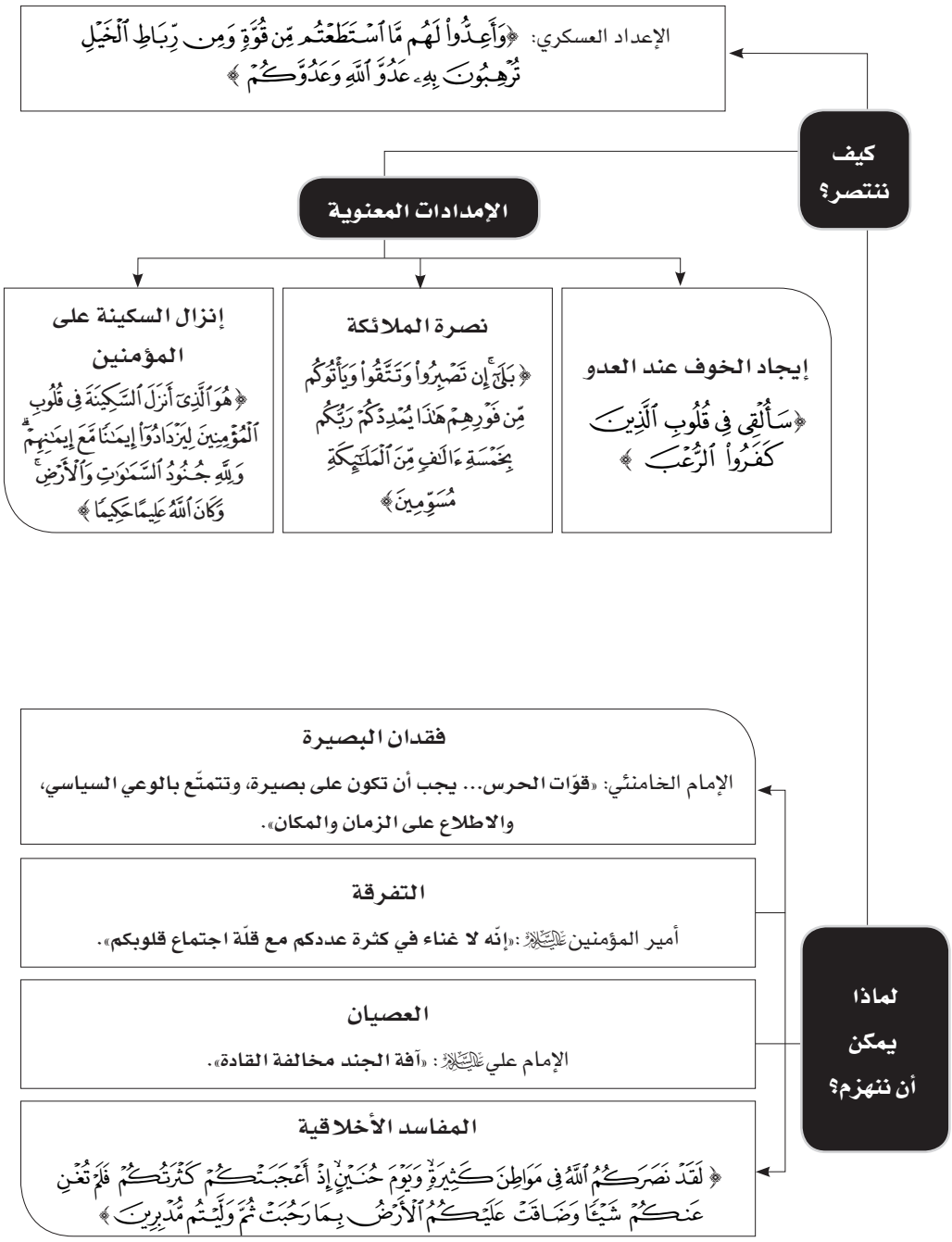
كيف ننتصر؟
الإعداد العسكري: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾
الإمدادات المعنوية
إيجاد الخوف عند العدو
﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾
نصرة الملائكة
﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾
إنزال السكينة على المؤمنين
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
لماذا يمكن أن ننهزم؟
فقدان البصيرة
الإمام الخامنئي: «قوّات الحرس... يجب أن تكون على بصيرة، وتتمتّع بالوعي السياسي، والاطلاع على الزمان والمكان».
التفرقة
أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّه لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم».
العصيان
الإمام علي عليه السلام: «آفة الجند مخالفة القادة».
المفاسد الأخلاقية
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾

12

أخلاقيات الحرب في الإسلام

مفاهيم محورية:

- رعاية العهود العسكرية.
- رعاية الأحكام الإنسانية في الحرب.
- المعاملة بالمثل.
- الصلح ووقف إطلاق النار.
- التعامل مع الأسرى.
- الإجارة واللجوء.

الموعظة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1].

يُمثّل الإسلام برنامجاً كاملاً، شُرِّعت فيه جميعُ التكاليفِ، وبُيِّنت كلّ القواعد والأصول اللازمة في أبعاد حياة الإنسان كافّة. ومن جملة المسائل التي تعرّض الإسلام لأصولها مسألة الحرب، ومن أهم هذه الأصول الآتي:

رعاية العهود العسكرية

في سياق تعداده لخصال المؤمنين، أشار القرآن المجيد إلى صفة الوفاء بالعهد والميثاق، حيث قال تعالى: ﴿... وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ...﴾[2].

حيث إنّ الوفاء بالعهد والميثاق هو من أصول الأخلاق الاجتماعية المسلَّمة، والتي لا يُقبلُ المساسَ بها في الإسلام. فلم يجزْ الله تعالى لأي فرد وتحت أي ظرفٍ أن ينقضها. وقد تمّ التأكيد على هذا الأصل في أوقات الحرب أيضاً، وأُوصي المسلمون أن يَحفظوا كلَّ عهد يقيمونه مع العدو، وأن لا يُخِلُّوا به أبداً.

---

(1) سورة البقرة، الآية 190.

(2) سورة البقرة، الآية 177.

ومـع أنّ سورة بـراءة قد نزلت لتعلن البـراءة من المشركين وتدعـو إلى التعامل معهم بقسوة وترسل لهم التهديدات إن هم أصرّوا على شركهم، نلاحظُ في المقابل أنّ الله تعالـى يُذكّـر المؤمنين في آيتين منها بضرورة الحفـاظ على العهد والميثاق الـذي عقدوه سابقاً مـع بعض المشركيـن، وأنّ من واجبهـم أن يستقيموا على ذلك طالما استقام المشركون أيضاً.

والملفـت فـي هاتين الآيتين أنّ الله سبحانه يعتبر هـذا الحفاظ وهذه الاستقامة المشار إليهما من علامات التقوى، حيث يقول تعالى في الآية الأولى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وفي آيةٍ أخرى، يأمر تعالى المسلمين بمدّ يد العون والنصرة إلى إخوانهم الذين أسلمـوا، لكنّهـم لا زالوا في الأسر ولـم يوفّقوا للهجرة، إلاّ أن يَطلُـبَ هؤلاء النصرة علـى قوم عقد المسلمون عهداً وميثاقاً معهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

وقد حرص رسـول الله ﷺ على رعاية هذه العهود، فبعد انعقاد صلح الحديبية، فرّ أحد مسلمي مكّة منها، والتحق بجموع المسلمين في الحديبية، فقبل النبي الأكرم ﷺ اعتراض ممثّل قريش في التفاوض ووافق على إعادته إلى مكة عملاً بأحد بنودِ الصلـح، ثمّ خاطب ﷺ ذلك المسلم – والذي كان قد استاء من إرجاعه إلى قريش – ليخفّـف عنـه، فقال: «**يا أبـا جندل؛ اصبـر واحتسب، فـإنّ الله جاعـلٌ لك ولمن**

(1) سورة التوبة، الآية 4.

(2) سورة الأنفال، الآية 72.

معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنّا لا نغدر بهم...»[1].

وفي معركة صفّين، ندم عدد من جنود الإمام عليّ عليه السلام بعد أن أجبروه على قبول التحكيم، وجاؤوا إليه يطلبون منه أن ينقض عهده، فقال لهم عليه السلام: «ويحَكُمْ، أبعد الرضا (والميثاق) والعهد نرجع. أوليس الله تعالى قال: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[2] وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[3] [4].

صحيح أنّ الوفاء بالعهد من الممكن أن يجرّ على المسلمين ضرراً مرحلياً، ولكن رعاية العهد والميثاق أكثر أهمّيّة من النفع أو الضرر المرحليين. وطبعاً، لو علم المسلمون على ضوء القرائن الموجودة أنّ العدو ينوي أن ينقض عهده ويشنّ هجومه عليهم، فيمكنهم أن ينقضوا العهد من جهتهم، غير أنّه من اللازم قبل ذلك أن يُعلِمُوا العدو عن عزمهم، ولا يحقّ لهم أن يبادروا إلى الهجوم عليه قبل إعلامه، لأنّ مثل هذا الهجوم يُعدُّ خيانة، والله لا يحب الخائنين[5].

رعاية الأحكام الإنسانية في الحرب

على الرغم من جواز اللجوء إلى الخدعة لإركاع العدو في الحرب، بل ولزوم ذلك أحياناً، إلاّ أنّ المسلمين ليسوا مجازين بالاستفادة من الأساليب الظالمة وغير الإنسانية لهزيمة العدو. فقطع الماء عن العدو، وحرق المزروعات، وتسميم المياه والمواد الغذائية، وقتل النساء والأطفال والعجّز الذين لا طاقة لهم على القتال،

(1) سيرة ابن هشام، ج3، ص333.
(2) سورة المائدة، الآية 1.
(3) سورة النحل، الآية 91.
(4) يُراجع، وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ص514.
(5) يُراجع: السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج9، ص113-114.

وتخريب البنى غير العسكرية، واستخدام الأسلحة الكيميائية والجرثومية... كلّها أمور ممنوعة في الحرب.

وقد أشار القرآن المجيد إلى حكم كلّي بهذا الشأن، حيث قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1].

واستنبط بعض المفسّرين من هذه الآية أنّه يجب الامتناع عن قتل غير الجنود العسكريين، ولا سيّما النساء والأطفال، لأنّه لا دور لهؤلاء في الحرب[2]؛ وقد أشار آخر الآية بنحو مطلق إلى لزوم الامتناع عن كل اعتداء: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾[3].

وأكّد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بشدّة على ضرورة رعاية الأحكام الشرعية والإنسانية في الحروب، ووصَلَنا منهم العديد من التعاليم والإرشادات على هذا الصعيد، من جملتها:

النهي عن قتل النساء والعجّز والأطفال:

فعن جعفر بن غياث أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن النساء كيف سقطت الجزية عنهنّ ورفعت عنهن؟ قال: فقال عليه السلام: «**لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن**»[4].

النهي عن إلقاء السمّ في الماء والغذاء:

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُلقى السُمُّ في بلاد المشركين**»[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية 190.
(2) يُراجع، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص10.
(3) سورة البقرة، الآية 190.
(4) وسائل الشيعة، ج15، باب 18 من أبواب الجهاد، ح1، ص64.
(5) (م.ن)، باب 16 من أبواب الجهاد، ح1، ص62.

عدم إتلاف الزرع:

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزّ وجل في خاصّة نفسه، ثمّ في أصحابه عامّة ثم يقول: ... ولا تُمثّلوا... ولا تحرقوا النخل، ولا تُغرِقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تُحرِقوا زرعاً...**»[1].

وبالطبع، يجب الالتفات إلى أنّه من الممكن لغرضِ قطع جذور فتنة الحرب والحدّ من وقوع مضارّ أكبر، أن لا تُراعَى هذه الأمور بمقدار حدّ الضرورة، وخصوصاً في الوقت الذي يستغلّ العدو رعاية المسلمين لهذه الأحكام لمصلحته، فيستقرّ مثلاً في مزرعة، أو أرضٍ ذات نخل، أو قلعة، ولا يكون هناك من طريق للوصول إليه إلاّ إشعال النار في المزرعة أو قطع النخيل أو إغلاق الماء.

فعندما نقض يهود «**بني النضير**» عهدهم، وهمّوا بقتال المسلمين، قاموا باللجوء إلى حصونهم. وفي كل مرّة كان المسلمون يقتربون من إحدى هذه القلاع وتتعرّض لخطر السقوط الحتمي، كانوا يتراجعون إلى قلعة أخرى بعد تخريب كلّ شيء وراءهم. فلهذا، ولغرض استسلامهم، أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن تُقطع أشجار نخيلهم. فاعترض اليهود الذين كانوا شديدي الحرص على زراعتهم، قائلين إنّ هذا لا يتلاءم مع أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت هذه الآية لتوضح حقيقة ما فعله المسلمون: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2]. وعندما رأى اليهود ما كان يفعله المسلمون، سارعوا إلى الاستسلام[3].

(1) وسائل الشيعة، ج15، باب 15 من أبواب الجهاد، ح3، ص59.
(2) سورة الحشر، الآية 5.
(3) يُراجع: الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص 208.

عدم التمثيل بجثث القتلى:

حيث نهى الإسلام عن التمثيل في جثث قتلى العدو على لسان النبي ﷺ، فروي عنه ﷺ: «**إيّاكم والمثله ولو بالكلب العقور**»[1].

ومحل الشاهد أنّه لا يجوز أن يمثّلوا بأجساد الكفّار أو الحيوانات بمعنى أن يقطّعوها أكثر ممّا يحصل لها في القتال.

المعاملة بالمثل

أكّد الإسلام على ضرورة رعاية الأحكام الإنسانية والشرعية، ولم يكن مستعدّاً حتى في ساحة الحرب أن يطلب من أتباعه النصر عن طريق الجور والظلم، وأمّا فيما لو تجاوز العدو هذه الأحكام، فيسمح الإسلام بمقابلته بالمثل. حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

ومع أنّه قد عُدَّت المقابلة بالمثل جائزة في هذه الآية، إلاّ أنّ المسلمين قد دُعوا من جديد في آخر الآية إلى التحمّل والإغضاء.

وفي آية أخرى، وضمن الإشارة إلى هذا الأصل، يُفهمنا القرآن الكريم أنّ المقابلة بالمثل هي أمر جائز في نفسه، وأنّ عدم رعاية حدوده لا يتلاءمُ مع أصل التقوى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

الصلح ووقف إطلاق النار

إنّ الإسلام دين الصلح والهدوء والأمن والمسالمة. فللحرب والجهاد بُعد محوري يهدف إلى إرساء الصلح وقلع الفتنة وإيقاف الحروب، ولهذا يسعى الإسلام بقدر ما

(1) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج 6، ص 150.
(2) سورة النحل، الآية 126.
(3) سورة البقرة، الآية 194.

يمكنه إلى منع التقاتل والقتل، وهو لهذا أيضاً يقبل عرض الصلح ووقف إطلاق النار بسهولة عند توافر فرصته الحقيقية. حيث يقول تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[1].

وفي آية أخرى، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

وفي مقطع من عهده إلى مالك الأشتر حينما ولاّه مِصراً، يذكر أمير المؤمنين عليه السلام أنّه إن كان الصلح لمصلحة مجتمع المسلمين، فيجب قبوله: «**ولا تدفعنّ صُلحاً دعاك إليه عدوّكَ لله فيه رضى، فإنّ في الصلح دَعَةً لجنودكَ وراحةً من همومك وأمناً لبلادك...**»[3].

ويبقى الصلح أو إيقاف الحرب مع العدو من الأمور الأساس التي يجب أن تُحدَّد من قبل قيادة المسلمين ومرجعيتهم المتمثل بالولي الفقيه.

التعامل مع الأسرى

يختصُّ قسمٌ من أصول الحرب في الإسلام بكيفية التعامل مع الأسرى. والحكم الأوليُّ على هذا الصعيد هو أنّ إمكان أخذ الأسرى منوط بالوقت الذي تكون فيه عقبات المعركة قد زالت، ولا يؤدّي الأسرُ إلى انشغال المجاهدين بهم، وبالتالي إلى هزيمة قوات الإسلام. وأمّا قبل هذا الوقت، فالأسرُ ممنوع. وقد أشير إلى هذا الحكم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟

(1) سورة النساء، الآية 90.
(2) سورة الأنفال، الآية 61.
(3) نهج البلاغة، الخطبة 53 (عهده إلى مالك الأشتر).

ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[1].

وجاءت الإشارة إلى ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

والسبب في هذا المنع واضح، لأنّه في بداية المعركة، حيث لا يكون انتصار المسلمين محسوماً، يؤدّي أخذ الأسرى إلى انشغال عددٍ كبيرٍ من المجاهدين بحفظهم وحراستهم بالإضافة إلى صرف إمكانات وفيرة لأجل ذلك، وهو ما يؤدّي إلى إضعاف جبهة المجاهدين وهزيمتها.

وبالالتفات إلى ما ورد في الآيات السابقة وسائر المصادر الإسلامية، فإنّ حكم الأشخاص الذين يقعون في الأسر خلال هذه الفترة الأولى من القتال، هو القتل[3].

وطبعاً، في حال أسلم الأسيرُ قبل تنفيذ هذا الحكم فيه، يُرفَع عنه القتل ويطبّق بحقّه حكم الأسرى الذين يقعون في قبضة المجاهدين بعد هذه المرحلة[4]. وأمّا الأشخاص الذين يسقطونَ في الأسر بعد هزيمة العدو فلا يجوز قتلهم[5]، وقائد المسلمين ووليّهم مخيَّرٌ بينَ أن يُطلقهم دونَ مقابل أو لقاءَ فدية يدفعونها أو أن يأخذهم أرقّاء[6].

والأمر الملفت على هذا الصعيد، هو كيفية التعامل مع الأسرى من وجهة نظر الإسلام، فإلى أي فئة انتموا، ينبغي التعامل معهم بإنسانية، والابتعاد عن أذيّتهم

(1) سورة محمد، الآية 4.
(2) سورة الأنفال، الآية 67.
(3) يُراجع: جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، الثانية، 1365 ش، خورشيد، دار الكتب الإسلامية – طهران، ج21، ص122–123.
(4) (م. ن)، ص124.
(5) هناك موارد نادرة يُقتل فيها الأسير بسبب جرائمه أو خطورته، مثلما أمر النبي ﷺ بقتل رجلين من أسرى بدر.
(6) يُراجع: جواهر الكلام، ج21، ص126.

والإضرار بهم، وإعطاؤهم الماء والطعام. ولقد كان مسلمو صدر الإسلام من خلال التربيــة التي تلقّوها على يد هذا الدين الخاتم ورسوله الأكرم ﷺ، يؤثرون الأسرى بطعامهم، ويقدّمونهم على أنفسهم[1].

فمــن المسائــل الهامّة هنا، ضــرورة التعامــل بعطف مع الأســرى والحرص على هدايتهم بالشكل الذي يؤدّي إلى حدوث تحوّل روحي وباطني لديهم، وإلى انجذابهم نحــو الحــقّ؛ وفي ما أرشد به القــرآن المجيد النبي الأكرم ﷺ علــى هذا الصعيد، مرفقــاً ببشــارة الرحمة والعفو إلــى الأسرى، نموذج جميل ودليــل ساطع على عظمة الإسلام، حيث قــال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

ولقد دعت هذه الآية الأسرى للإسلام، مستفيدة من أفضل طريقة، وألطف كلام وأرحمه.

الإجارة واللجوء

منــذ قديم الأيــام، تُعدّ مسألة اللجوء إلــى الأفراد أو الأمكنــة الآمنة لأجل حفظ الــروح، من العــادات الموجــودة بين أبنــاء البشر. وقــد أدّى هذا الأمــر إلى إفلات المجرمين أو الأشخاص غير المذنبين الذين كانوا ملاحقين، من العقاب.

وقد كان هذا اللجوء أمراً رائجاً بين العرب قبل الإسلام، والجميع يعطونه منزلة مهمــة. والإسلام بدوره قد أقــرّ أصل الإجارة وأكّد عليه. وبصــرف النظر عن أنواع اللجــوء السياسي، ومن ضمــن بحث أصول الحرب في الإســلام، نطرح هذا السؤال ليُشــكّل محوراً لبحثنا: هل يوافق الإسلام على إجارة العدو طوال فترة الحرب أم لا؟ وهــل يُجيز إلى مدّة معينــة أن يعمد أفراد من العدو إلى الحفــاظ على أرواحهم من

(1) يُراجع: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، طبع1386 – 1966م، دار صادر للطباعة والنشر – بيروت، ج2، ص131.
(2) سورة الأنفال، الآية 70.

خلال هذه الوسيلة؟ وللجواب ينبغي القول إنّ ما يُستفاد من المصادر الإسلامية هو أنّ مشروعية إجارة العدو تتمثّل في غرضين اثنين:

لسماع كلام الله والاطلاع على معارف الإسلام:

فليس للمسلمين من هدف سوى إيصال نداء الفطرة إلى مسامع الناس، وهم لا ينسون هذا الهدف في ميادين الجهاد، وقد ثبتوا عليه. فدعوة العدو إلى الإسلام قبل بدء القتال تصبُّ في هذا الطريق، بل حتى لو أنّ شخصاً ادّعى بعد القتال أيضاً أنّه لم يسمع كلام الله ثمّ طلب مهلة وأماناً ليسمع دعوة الحقّ، فمن الواجب على المسلمين أن يجيروه ويعرضوا عليه أصول الدعوة الإسلامية، ومن ثمَّ أن يعيدوه إلى مكانه سالماً آمناً، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**لو أنّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل، فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأُناظره فأعطاهُ أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به**»[2].

إجارة العدو تؤدّي إلى قوة جبهة المجاهدين:

في بعض الموارد، يؤدّي الإعلان عن الاستعداد لمنح اللجوء إلى أفراد العدو، إلى وقوع الفرقة والتشتّت بين صفوف قوّاته. ومع إجارة عدد منهم فعليّاً، تضعف قوّته وتنكسر شوكته.

وفي مثل هذه الموارد التي يعود نفعها على الإسلام، يمكن أن تُجارَى هذه القوات المعادية التي لجأت إلى المجاهدين - لا لأجل سماع كلام الحقّ والإذعان له - وإنّما لأجل الحفاظ على حياتها، أو إرشادها إلى أماكن آمنة لتلجأ إليها بنفسها، وتحفظَ

(1) سورة التوبة، الآية 6.

(2) وسائل الشيعة، ج15، باب 20 من أبواب الجهاد، ح1، ص67.

أرواحها من الهلاك على أيدي القوّات الإسلامية.

فعنـد فتـح مكة، أعلن النبـي الأكرم ﷺ - وعلى أثر استسـلام أبي سفيان - أنّ المسجـد الحـرام، وكذلك منزلَ أبـي سفيان وحكيم بن حزام أماكـن يأمن من لجأ إليها على نفسه[1].

وأيضـاً، أعلن رسـولُ الله ﷺ في حرب الطائف أنّ كلّ عبـدٍ يلجأ إلى المسلمين ويفـرُّ من حصنهـا، سوف يُعتـق[2]؛ أي أنّه بالإضافة إلى قبـول لجوئه، سوف يُعطى الحرية هدية فوق ذلك.

وللعلامـة الطباطبائي قدس سره فـي ذيل شرحه للآيـة السادسة من سـورة التوبة، كلام يمكـن أن يستفـاد منه ما ذكرنـاه آنفاً، حيث يقـول: «**الآية إنّما توجب إجارة المستجيـر إذا استجـار لأمرٍ دينـي يُرجى فيه خير الدين، وأمّـا مطلق الاستجارة لا لغرض دينـي ولا نفـعٍ عائدٍ إليه، فـلا دلالة لها عليه أصلاً، بـل الآيات السابقة الآمرة بالتشديد عليهم في محلّها**»[3].

(1) المغازي ،الواقدي، ج2، ص818.

(2) يُراجع، الطبقات الكبرى، ابن سعد، بيروت، دار صادر، ج2، ص158-159.

(3) الميزان في تفسير القرآن، ج9، ص155.

المفاهيم الرئيسة:

1. رعايـة العهـود العسكرية من أصول الحرب فـي الإسلام حيـث إنّ الوفاء بالعهد والميثاق هو من الأصول الأخلاقية المسلَّمة.
2. رعايـة الأحـكام الإنسانية في الحرب مـن أصول الحرب أيضاً حيـث أكّد القرآن الكريـم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمـة عليهم السلام بشدّة على ضرورة رعايـة الأحكام الشرعية والإنسانية في الحروب، ومن جملتها:

   أ. النهي عن قتل النساء والعجّز والأطفال.

   ب. النهي عن إلقاء السمّ في الماء والغذاء أو بين المزروعات.
3. المقابلة بالمثل هي من أصول الحرب في الإسلام حيث أكّد الإسلام على ضرورة رعاية الأحكام الإنسانية والشرعية.
4. الصلـح ووقـف إطلاق النـار من أصول الحـرب أيضاً، لأنّ الإسـلام دين الصلح والهدوء والأمن والمسالمة.
5. للحرب والجهاد بُعد محوري يهدف إلى إرساء الصلح وقلع الفتنة وإيقاف الحروب، ولهذا يسعى الإسلام بقدر ما يمكنه إلى منع التقاتل والقتل، وهو لهذا أيضاً يقبل عرض الصلح ووقف إطلاق النار بسهولة عند توفّر فرصته الحقيقية.
6. التعامـل مع الأسرى برفق وإحسان من أصول الحرب أيضاً، فمن مسائل الإسلام الهامّة ضرورة التعامل بعطف مع الأسرى والحرص على هدايتهم.
7. أقرّ الإسلام أصل الإجارة وأكّد عليه، حيث ورد في مشروعيته آيات وروايات عدّة. وتتمثّل مشروعية إجارة العدو فيما لو كانت بهدف تحقيق أحد غرضين اثنين:

   أ. لسماع كلام الله والاطلاع على معارف الإسلام.

   ب. إجارة العدو تؤدّي إلى قوة جبهة المجاهدين.

العهود العسكرية
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾.
رعاية الأحكام الإنسانية
النهي عن قتل النساء ونحوه.
النهي عن إلقاء السم في أطعمة الأعداء وأشربتهم.
عدم إتلاف الزرع والمحاصيل الزراعية.
عدم التمثيل بالقتلى والجثث.
الصلح ووقف الحرب
السلم هو الأصل: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.
قبول الصلح: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا تدفعنّ صُلحاً دعاك إليه عدوّك لله فيه رضى، فإنّ في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك...».
التعامل مع الأسرى
الأسر ليس الهدف: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
التعامل بالحسنى: ﴿...قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
الإجارة واللجوء
لمعرفة الإسلام: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾
القوة للمسلمين: كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في حرب الطائف بأنّ كلّ عبد يلجأ إلى المسلمين ويفرُّ من حصنها سوف يُعتق.

1003051

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org